صانعة الكراسي

قصص مترجمة

غي دو موباسان

ترجمة/ مجموعة مترجمين

«الجزائر تقرأ»

العنوان: صانعة الكراسي

المؤلف: غي دو موباسان

ترجمة: مجموعة مترجمين

الجزائر تقرأ

8 شارع حساني يسعد، الجزائر الوسطى،
الجزائر العاصمة/ الجزائر

إيميل: NASHR.DZREADS@GMAIL.COM

فايسبوك / تويتر / سنابشات / يوتيوب/ تلغرام @dzreads

إنستغرام @dz_reads

للمهتمين بالحصول على كتبنا، يرجى طلبها من متجرنا
الإلكتروني، توصيل لغاية باب البيت

DZREADS.COM

يمكن الحصول على هذا
الكتاب وغيره من كتب
الجزائر تقرأ الأخرى
وماتشتهيه من كتب عبر
متجرنا الإلكتروني مع توصيل
لباب البيت

DZREADS.COM

الجزائر تقرأ
«الجزائر تقرأ»

غي دو موباسان (1850–1893)

صانعة الكراسي

ترجمة: فؤاد نور الدين

أقام المركيز دي برتران حفلة شائقة على نخب صيد العام الجديد. فدعا أصحابه من أهل البلد. فالتف حول المائدة عشرة رجال تصحبهم ثماني نساء من ذوات الحسن والدلال؛ وكان الخوان موقراً بصنوف الزهر الزكي، وضروب الثمر الشهي؛ وقد ألقت مصابيح الكهرباء أنوارها المتلألئة على هذه الأنواع المختلفة من الزهر والثمر والطعام، فماجت تحتها موجاناً يستفز الشهية ويستقطر اللعاب.

جلس في صدر المائدة على مقربة من المركيزة طبيب البلدة، وهو رجل متقدم السن، وقور الهيئة، يبدو على وجهه طابع الفطنة والذكاء

كانوا جميعاً يتجاذبون ألواناً ممتعة من الحديث اللذيذ والكلام الرقيق، فلما انتقلوا إلى حوار الحب، وماهية الحب، انبعثت بينهم تلك المناقشة الخالدة التي يراد

منها أن يفهم: هل الحب المحض يدرك القلب المرء مرة في حياته أو أكثر؟

فكانت تورد أمثلة لأناس تيم قلوبهم الحب الصحيح مرة فحسب، وكانت تورد أمثلة لأناس آخرين أحبوا بعنف وقوة وهيام أكثر من مرة.

كان الرجال بنوع عام يشبّهون العشق بالأمراض، فكما أن الأمراض دوما ما تلحق بجسم الإنسان فالعشق أيضاً يصيب فؤاده كثيرا ويكون في كل مرة من العنف والقوة والهياج بحيث يُؤثْر العاشق الموت إذا ما اعترضت سبيله علة من العلل.

أما النساء فكان رأيهن يستند أكثر ما يستند على الخيال والشعر، وينأى عن النظر والفكر. فكن يثبتن في حماس واندفاع أن الحب المحض، الحب العظيم لا يمكن أن ينبعث في القلب إلا مرة واحدة فحسب، حتى إذا تمكن منه ألهاه عن كل أمر، فأحرقه وألهبه، وكان فعله فيه فعل الصاعقة في الشجر والنبت، فكما أن هذه تحبس عنهما النمو والنشوء الجديدين، فهذا الحب أيضاً – يجعل القلب قفراً فارغاً لا يمكن أن تنشأ فيه أحلام تشبه أحلامه الأولى ولا تنبت فيه مشاعر تشبه مشاعر

هيامه الماضي وعهده السالف.

كان المركيز يدحض هذا الاعتقاد بكل ما أوتي من ذلاقة لسان، ومن حجة وبيان.

كان يقول:

– أؤكد لكم يا سادتي أن الإنسان في مقدوره أن يعشق أكثر من مرة بكل جوارحه وبكل قواه. إنكم تعددون لي أمثلة أناس انتحروا من أجل الحب كأنهم عاجزون عن أن يعيشوا ليعشقوا ثانية. غير أني أجيبكم: إن هؤلاء الناس لو أهملوا الانتحار وتحاشوا هذه الحماقة المجنونة لألفوا في الحياة ما يثير الحب من جديد في قلوبهم الجريحة ويحي الأمل في نفوسهم اليائسة، لأن من يعشق سيعود ليعشق من جديد كمن يحتسي كأس خمر لا بد أن يعود مجددا لاحتسائها. تلك طبيعة الإنسان لا ينصرف ولا يحيد عنها.

لما أتم المركيز خطابه وأعلن رأيه، اتجهت الأنظار جميعها إلى الطبيب تنتظر منه حكما أخيرا في هذا النقاش الجدلي فقال:

– أنا لا أخالف المركيز في رأيه، فالهوى تتعدد فصوله وتتابع طوارئه على الفؤاد. غير أني عرفت فيما عرفت

هوى دام خمساً وخمسين سنة، وما خمدت ناره ولا انطفأ أواره إلا بالموت.

قال المركيز وهو يفرك يديه:

- أترى هذا حب محمود؟ وما وراءه من أمان وأحلام؟ وأي سعادة في أن يعيش المرء خمساً وخمسين سنة على غرام واحد؟

فابتسم الطبيب ابتسامة خفيفة وهو ينظر إلى المركيزة:

- إن الشخص الذي أتاح له القدر أن يكون معشوقاً طول هذه المدة كان رجلا وأنتم تعرفونه جميعاً، هو السيد شوكه صيدلي الناحية. أما المرأة العاشقة فلستم تجهلونها أيضاً، هي صانعة الكراسي العجوز التي كانت تفد أحياناً إلى القصر هاهنا:

بدت على وجوه النسوة ملامح الدهش ودلائل الاشمئزاز، كأنما الحب لا ينبغي أن يصيب فيما يصيب إلا المخلوقات المترفة المتميزة التي تستحق وحدها أن يبدي الناس لها عطفا واهتماماً.

قال الطبيب: - منذ ثلاثة شهور دعيت إلى جانب هذه العجوز وهي على فراش الموت، وكانت قدمت في عربتها التي اتخذتها مسكناً لها وآلة ركوب تطوف البلدان

عليها. يجر هذه العربة فرس مهزول ناحل لا شك أنكم رأيتموه. ويصحب العجوز كلبان أسودان هما صديقاها وحارساها. كانت دعت القسيس أيضاً لتكشف لنا عن رغباتها الأخيرة فنكون منفذين لوصيتها. فقصت علينا جميع أطوار حياتها. الحق إنني لم أسمع قصة أشد تأثيراً في النفس وأكثر غرابة في الأذن من قصتها. كانت حرفة والديها صنع الكراسي. ولم يكن لها سكن خاص في أرض معينة، فإنها طفلة كانت تطوف البلدان ممزقة الثياب معتلة الجسم يثير منظرها نفوراً واشمئزازاً. وكان أبواها كلما بلغا إحدى القرى وقفا عند مدخلها وأنشأ يصلحان الكراسي العتيقة والمقاعد القديمة تحت ظل الأشجار وهي تتدحرج لاعبة ضاحكة خلال أعواد العشب المشرئبة. فإذا ابتعدت قليلا عنهما أو أخذت في الحوار مع الصبية، فإنها لا تلبث أن تسمع صوت أبيها المغضب يقول لها: (ارجعي يا وقحة). فكانت هذه الجملة، الجملة الوحيدة التي تسمعها من أبيها.

ولما ترعرعت بعض الشيء أرسلاها تلتقط أو تبتاع ما فسد من المقاعد. فكانت في تنقلها من مكان إلى مكان تتعرف إلى الصبيان وتأنس إلى الحديث إليهم. على أن

أولياءهم كثيراً ما صدوهم عنها وهم ينهرونهم، ومنهم من كان يقول لولده: لا تحادث هذه الشريدة حافية القدمين مجددا.

أما الفتية الصغار فما أكثر ما قذفوها بالحجارة من غير أن ينبس فمها بكلام! وكانت بعض النسوة تعطينها قليلا من النقود فتحتفظ بها وتحرص عليها.

وبينما كانت تجوب هذه القرية في أحد الأيام وقد بلغت الخامسة عشر ربيعاً من عمرها، إذ صادفت خلف المقبرة شوكه الصغير وهو يبكي بشدة، لأن رفيقاً له سرق منه قطعتي نقود. فآلمها بكاءه وهي البنت المسكينة، أن ترى طفلاً من المدينة يذرف دموعاً حارة وليس له من يواسيه. فدنت منه وما كادت تتعرف على سبب بكائه حتى وضعت في يديه تلك النقود القليلة التي احتفظت بها. وكان طبيعياً أن يبتهج الطفل بالنقود فأخذها ومسح دموعه. وقد نالها الرضى وهي تراه سعيدا من جديد، فراحت تعانقه وتضمه إلى صدرها وتقبله تقبيلاً حاراً دون أن يمانع الولد أو يصدها عنه لأنه كان لاهياً بفحص النقود ثم انصرفت عنه وقد فاض قلبها محبة لهذا الطفل

ولم يكن أحد يعلم ماذا جال في رأس هذه الفتاة

التعيسة من خواطر وأحلام، أتعلقت به لأنها ضحّت في سبيله بثروتها الصغيرة التي جمعتها من التشرد والتنقل بين بيوت الناس، أم لأنها منحته أول قبلة على خده خفق قلبها لها؟ هذا ما لا يمكن لأحد أن يعرفه.

ظلت الفتاة الصغيرة أشهراً تجول في خاطرها زاوية المقبرة التي شهدت فيها هذا الطفل وراحت تسرق من أبويها ما تصل إليه يدها من قطع نقود أملاً في لقائه ومصدافته مرة أخرى. وكان في يدها آخر الأمر قطعتي فرنك. على أنها هذه المرة بدلاً من أن تلمح فتاها الصغير في مكان منعزل بالمقبرة، رأته خلف قضبان حانوت أبيه: بهي الطلعة نظيف الثياب، والقناني الحمراء والخضراء والصفراء تحيط به من كل جانب. فزاد حبها وابنهارها به، وشدّها ما وجدت عنده من مجد بادٍ في هذه المياه المصبوغة، ومن جلال ظاهر في هذه الزجاجات البراقة فاحتفظ خاطرها بذكراه مدة، حتى صادفته في السنة التالية خلف المدرسة يلعب مع رفاقه، فهجمت عليه وقبلته تقبيلاً عنيفاً أخاف الفتى وأخذ في الصراخ. لكنها سرعان ما وضعت في يده ثلاثة فرنكات هش لها الغلام وسعد، وحملق في وجهها في دهشة وتعجب تاركا نفسه

لها تداعبه ما رغبت في ذلك، تعانقه ما اشتهت من عناق.

وظلت أربع سنوات تقدم إليه ما تجمعه من نقود فيأخذه منها مقدماً إليها القبلات عن رضى وسرور. أعطته مرة فرنكين ومرة خمسة فرنكات، وهي قطعة كبيرة جعلته يضحك لها ويرقص طربا.

لم تكن تفكر إلا فيه؛ أما هو فكان ينتظر عودتها ويرقب شخوصها إليه بصبر فارغ وشوق لجوج، حتى إذا أبصرها، جرى إليها مسلماً خده لقبلاتها، ويده لنقودها. وما أشد خفقان قلبها عند ذلك!

واختفى الغلام حقبة من الزمن عن عينيها لأنه انتقل إلى مدرسة أخرى. وعرفت هي ذلك حينما بحثت في الأمر، فأبلت في مخاطبة والديها حتى حملتهما على المرور من هنا في الصيف. وكان مضى عليها سنتان دون أن تراه. فلما أبصرته كادت لا تعرفه لأنها رأت أمامها بدلا من ذلك الفتى الصغير في الأمس شابا قد تفتحت ورود الصبا في وجهه، وابتسمت زهور اليفاعة في قده.

نظرت إليه نظرة شوق ولهفة. وكان منه أن تظاهر بعدم رؤيتها، ثم خطا أمامها ببزته الأنيقة ذات الأزرار الذهبية يملأ صدره زهو وافتخار، ويعلو برأسه أنفة

واستكبارا.

وانصرفت عنه والدموع تنزل من عينيها والزفرات تتصاعد من قلبها. وأصبحت بعد ذلك العهد صديقة للحزن والألم الذي يعتصر قلبها من تصرف الفتى معها.

وبعد مرور الأعوام، وفتاتنا لا تنقطع عن الذهاب كل عام لمدينته لتراه دون أن تجرؤ على تحيته، ودون أن يتنازل هو بإلقاء نظرة عليها.

أصبحت تهواه بكل جوارحها، وإليكم ما قالته لي (إن هذا الرجل يا سيدي الطبيب، الرجل الوحيد التي رأته عيناي، وما علمت بعد ذاك إذا كان يعيش في العالم سواه)

ومات أبواها واستمرت في حرفتهما تصنع الكراسي وتصلحها، وقد رافقت من بعد وفاتهما بدلا من كلب واحد، كلبين كبيرين يخشى أي شخص من الاقتراب منهما.

وكان يوم جاءت إلى هذه المدينة، رأت امرأة في ريعان شبابها تصحب شوكه حبيبها، وقد تأبطت ذراعه وهما يخرجان من المحل معا.

لقد تزوج إذن شوكه!

وفي مساء ذلك اليوم ألقت نفسها في النهر الموجود

خلف المحكمة. وحدث أن كان هناك رجل يمر من هناك، فأنقذها وقادها إلى منزل شوكه، فنزل هذا لعلاجها، ودلك بيديه مكان الألم من جسمها دون أن يتظاهر بمعرفتها. ثم ما لبث أن قال لها بصوت جاف: (أأنت مجنونة؟ لا ينبغي أن تكوني هكذا حيواناً).

هذه الجملة التي قالها لها وحدها بعثت فيها الشفاء. هل تكلم فعلا معها؟! لقد فعل ذلك فعلا، وبسبب هذا ظلت هائمة مغتبطة لمدة طويلة.

قضت كل حياتها تذكر شوكه ولا تفكر في غيره. وكانت تلمحه في سنيها خلف الزجاج، وما أكثر ما ابتاعت عقاقيره وأدويته لوهي لا ترغب من وراء من شرائها إلا رؤيته والحديث إليه.

وكما ذكرت لكم من قبل، ماتت هذا الربيع وقد رجتني بعد أن قصت عليّ قصتها أن أحمل إلى هذا الذي أحبته حب العابد لمعبوده، جميع ما ادخرته من مال. لأنها كما اعترفت لم تشتغل إلا لأجله، تجوع أحياناً لتدخر له بعض المال. فإن ذكرها بعد وفاتها مرة واحدة فستشعر في قبرها بالسعادة والهناء.

أعطتني ألفين وثلاثمائة وعشرين فرنكا. فقدمت

العشرين فرنكا إلى القسيس لأجل دفنها، وأخذت الباقي لما فاضت روحها، وقصدت منزل شوكه، فلما دخلت كان وزوجته يتناولان طعام الغداء وقد جلس الواحد أمام رفيقه، والاحمرار يكسو وجهيهما، والسعادة تسبل عليهما ظلها الوارف وبشرها الطافح. طلبا إلي الجلوس فجلست، وقدما إلي كوبا من مشروب (الكيرسك) فتناولته شاكراً وبدأت أنقل لهما القصة بصوت مضطرب حزين، لأني زعمت أنهما سيبكيان ويحزنان على أن شوكه ما كاد يفهم أن هذه الأفاقة الشريدة تضمر له حباً وولاء حتى جن جنونه وثارت ثائرته وشرع يثب من السخط والغضب كأنما سلبته المسكينة من المجد والشهرة، ومن العزة والشرف شيئاً كثيرا. أما الزوجة فكانت تصيح والغيظ يملؤها (يالها من نذلة! يالها من نذلة!)

ثم نهض شوكه وألقى بقبعته على الوسادة وأخذ يذرع أرض الغرفة جيئة وذهاباً كأنه أحد المجاذيب وكان يتمتم: (أو يمكن هذا يا دكتور؟ إن ذا لشيء فضيع! ما العمل؟ يا ليتني عرفت الأمر في حياتها! فلكنت أسوقها سوقاً إلى السجن بقوة الدرك).

فلبثت أنا كالمشدوه مما سمعته أذناي ورأته عيناي لا

أدري ما ينبغي علي أن أقوله أو أفعله. على أنني عقبت كلماتي: (سيدي إنها أوعزت إليّ أن أحمل إليك ما تركته من نقود، وقدرها ألفين وثلاثمائة فرنك. ولما كان ما نقلته لك من حديثها قد أثار فيك سخطاً وسوءاً، فلعل من الخير أن نهب النقود لبعض الفقراء والمساكين).

لكن الزوجين نظرا إلي وقد أفقدتهما الحيرة كل حركة!

فأخرجت المال من محفظتي، هذا المال المتجمع من بلدان عديدة والمدَّخًر من جميع النقود من ذهب وفضة وغيرهما. وسألته قائلا: (ماذا قررت؟)

قالت السيدة شوكه: (مادامت كانت رغبتها الأخيرة تقضي بذلك. فأرى من الصعوبة رفض إرادتها).

وقال الزوج وقد احمر وجهه والخجل باد عليه: (إن هذا المال ينفعنا في اقتناء بعض الحاجيات لأطفالنا).

قلت عند ذلك بصوت جاف: (كما تشاء) قال: (هاته مادامت أوعزت إليك ذلك. فلن تعوزنا الوسيلة في إنفاقه إنفاقاً جميلا).

فقدمت إليهما الدراهم وصافحتهما وانصرفت

وجاءني شوكه في غد اليوم، وابتدرني قائلا: (هذه المرأة تركت عربتها، ماذا فعلت بها؟). قلت:

- لاشيء، خذها إذا أردت. قال:

- إنها تنفعني؛ سأجعل منها كوخاً لحديقتي

وهم بالانصراف فناديته قائلا: (إنها تركت أيضاً فرسها وكلبيها، ألا تريدها؟ فوقف مندهشاً وقال: (آه! كلا، لا حاجة بي إليها، ما أصنع بها؟ خذها أنت.) وأخذ يضحك ومد يده إليّ فصافحته بمودة، إذ لا ينبغي للطبيب والصيدلي أن يكونا عدوين.

احتفظت بالكلبين، أما الفرس فقدمته إلى القسيس، واستفاد شوكه من العربة في صناعة كوخ بحديقته، واشترى بالنقود خمسة أسهم في شركة الخط الحديدي.

هذا هو يا سادتي الحب العميق المحض الذي صادفته في حياتي.

وصمت الطبيب

فأخرجت المركيزة من صدرها آهة حبيسة، وقالت والدموع تلألأ في عينيها:

(الحق أن النساء وحدهن من يعرفن الحب!)

مجنون!

ترجمة: م. كمال جلبي

مات الرجل الفذ الذي اهتزت له مجالس القضاء الفرنسية قاطبة، وانحنت لموته رؤوس الحقوقيين وأعضاء مجالس الشورى انحناء احترام وخضوع لوجه الهزيل الذي كانت تضيئه نظراته الحادة.

كان عدو اللصوص والقتلة لأنه الوحيد الذي يقرأ أفكارهم الرهيبة ويكتشف أسرار الجرائم التي ارتكبوها، فبنظرة واحدة إلى إحداهم يعرف أسراره المدفونة.

مات الرجل في الثانية والثمانين من العمر، فشيعت نعشه حسرات شعب كامل؛ وسار وراءه جنود الحكومة لابسين البناطيل الحمر؛ يتقدمهم أعظم رجالات فرنسا ويندبه أصحاب الربطات البيضاء بدموع صادقة.

وقد وجدوا بعد موته في غرفته الخاصة التي تحوي أوراق كبار المجرمين مذكرات بعنوان (لماذا)

20 حزيران سنة 1851:

انتهت جلسة اليوم بعد حكمي على بلوندل بالإعدام.

لم قتل هذا الرجل أولاده الخمسة؟ ولم تظهر علائم اللذة على هؤلاء إذا قضوا على غيرهم؟

نعم! نعم! يجب أن يكون القتل لذة، ولعلها تكون أعظم اللذات جميعها! أليس للموت شبه عظيم بالحياة؟

الحياة والموت!!

كلمتان تتألف منهما قصة المجتمع، نعم المجتمع كله؛ أي كل ما هو كامل؟ إذا لماذا يولع الإنسان بالقتل؟

25 حزيران: فكر في مخلوق حي، يسير وينظر ويضحك... مخلوق؟!

ما هو المخلوق؟

هو كائن يحيا بحركة نظامية، وبفكر ثاقب يدير تلك الحركة الكامنة فيه، ولا يشغل هذا الكائن فراغا لأن رجليه اللتين يسير بهما لا تتعديان وجه الأرض. إذن فهو حبة حياة متحركة لا أدري مم تكونت! تبدو بسيطة كأحقر الأشياء وأتفهها كأن لا قيمة لها مطلقا.

26حزيران:

لم يعد القتل جريمة؟ نعم لماذا؟

فقانون الطبيعة لا يعاقب القاتل، والقتل كما أرى فريضة على كل كائن: فإنه يقتل طلبا لعيش رغيد؛ يقتل لأنه عرف لذة القتل؛ فالحيوان يقتل في كل لحظة من وجوده - والرجل لا ينقطع عن القتل، بل يقتل ليتغذى، ويرى في القتل ضرورة، لذلك رأى في الصيد لذة - وقد لا يشعر الطفل بالنشوة إلا إذا خنق صغار الحشرات وصغار العصافير التي تصل إليها يده؛ وكل هذا لا يطفئ شهوة القتل الملتهبة فيه.

لم يكفه الحيوان فعدا على رفيقه الإنسان. وقديما كانت القرابين البشرية تقدم للآلهة، فاستعيض عنها حديثا بالجرائم التي جعلت القتل جريمة يكافحها القانون بالإعدام أو بالسجن!

والحقيقة أننا لا بد أن نؤدي واجبنا نحو هذه الغريزة الطبيعية التي ينتج عنها الموت الوشيك. وكثيرا ما تخفف غلواؤنا عندما نرى أمم الأرض تتطاحن، ونسمع بشعوب تذبح أخرى، وتكون هناك مجازر دموية تهيم بها الجيوش؛ فترى أهالي المدن الثملين بخمرة النصر مع نسائهم وأولادهم يطالعون بانتباه على ضوء المصباح

أخبار مجازرهم الفظيعة.

هل فكر أحد بأن شعوب الأرض تكره تلك المذابح التي نسميها الحروب. أبدا! إذا فلم نثني عليهم بشتى أنواع الثناء، ونلبسهم الجوخ الثمين محلى بالذهب الوهاج، ونقلدهم أوسمة يحلون بها صدورهم، ثم نغدق عليهم ألقابا عظيمة فستصبح (مودة) النساء لهم مسخرة مع إرادة الشعوب عامة، أليس ذلك لأنهم مسخرون لقتل الإنسان؟ إذن فالقتل نظام أودعته الطبيعة صدر الإنسان ليصيب السعادة الدائمة والشرف الرفيع! القتل هو القانون، والطبيعة تحب الشباب الخالد، فتحث أبناء الحياة على ترك الحياة، وكلما أهلكت رطلا أحيت آخر مثله.

2تموز:

الكائن؟! ما هو الكائن؟

هو كل شيء، وهو لا شيء؛ فهو انعكاس الكون. وتصغير العالم، هو تاريخ، وشكله مرآة لأعماله، فكل مخلوق محيط في هذا العالم!

إرحل وابحث عن الأجيال ترى الكائن لا شيء. إصعد في

زورق وابعد عن الشاطئ المزدحم بالمخلوقات فلا ترى شيئا بعد برهة، ومن هنا نستدل على حقارة الإنسان. إقطع أوربا بالقطار السريع وتطلّع من بابه الصغير ترى رجالا لا يحصون مجهولين، يحرثون الحقول. . . ويتراكضون في الشوارع، وفلاحين بلهاء لا يعرفون سوى فلح الأرض مع نسائهم السمجات اللاتي لا يتقنّ سوى طبخ الحساء لرجالهن وأولادهن.

إذهب إلى الهند، إلى الصين، تجد الحال هي الحال: أناس يولدون ويشقون ثم يموتون دون أن يتركوا أثر نملة.

زر بلاد الزنوج الآوين إلى بيوت من الطوب؛ زر بلاد العرب البيض القابعين تحت خيامهم القاتمة المتموجة مع الرياح تر حقيقة المخلوق المنعزل الذي نعتناه بلا شيء والعقلاء من البدو والحضر ينظرون إلى الموت نظرهم إلى المر الذي لا بد منه، فلا يكترثون له. والجريمة كذلك في نظر البدو الذين نشأوا وتأصلت في نفوسهم منذ نشأتهم فكرة الأخذ بالثار كأنها شيء طبيعي. أما أهل الحضر فلا يتأثرون بهذه الجرائم وإن كانت أفكارهم لا تتعدى حدود اعتبارها أمرا طبيعيا لازما لإطفاء شهوة القتل، والقتل تنتقل عدواه من بيت لآخر ومن مقاطعة

لأخرى.

تأمل في أشخاص العالم المجهولين!

المجهولين؟

وصلنا أساس البحث!؟

إن القتل جريمة لأن القانون أحصى عدد المخلوقات وسجلها وأطلق عليها أسماء عديدة، ثم قدّسها رجال الدين فإذا هي في حمى القانون يدفع عنها عدوان القتلة السفاكين؛ والمولود الذي لا يسجل لا يعترف القانون بوجوده.

الطبيعة تحب الموت، ولا تعاقب القتلة؛ وهي نفسها تدافع عن الإنسان الذي جعله القانون سلعة في يده يفعل به ما يشاء، لأنه خول لنفسه الحق فيه، فتراه بعد مئات الألوف للحرب منتظرا أن يسقط أسمائهم من سجلاته. ولكننا نحن الضعفاء لا يمكننا تبديل أي اسم ولو من سكان الأقضية، بل الواجب علينا أيضاً احترام حياة الكائن، مع احترام سلطة الحكومة المدنية التي تملك الهياكل البلدية.

قف وادع الله يا ابن الطبيعة!

3تموز:

في القتل غرابة ولذة مقرونتان بالسرور؛ فإذا كان المخلوق الحي العامل تحت سلطتك وتمكنت من عمل جرح صغير واحد في جسده ووقفت ترى المادة اللزجة الحمراء تسيل أمام عينيك ثم يفقد ذلك الجسم الحياة، فلا ترى بعد أذن كتلة لحم لين، بارد عديم الحركة التفكير.

15آب:

لقد قضيت حياتي بالمحاكم، أعدم، وأميت، بكلام رقيق يخرج من فمي، وتنفذه المقصلة في الذين أماتوا بحد السكين، أنا! أنا! ماذا يكون مصيري إذا أصبحت أحد هؤلاء القتلة!؟ من يدري؟

15آب:

من يدري؟ لا أحد!

أيفكر امرؤ بأني قاتل ولا سيما إذا انتقيت كائنا لا فائدة تعود علي من حذفه؟

17آب:

‹الجزائر تقرأ›

الشهوة، الشهوة، نعم، تملكتني شهوة القتل كالدودة حابية في جسمي وفي عقلي، إني متعطش إلى رؤية الدم وبجانبه الموت، حيث تسمع أذناي صوتا فضيعا يناديني، ويذكرني بآخر صرخة تخرج من المحتضر. لعل في القتل لذة، وخصوصا إذا كانت الضحية كائنا مطلق الحرية واسعها يملك قلبه الهادئ الرزين بنفسه.

22آب:

لا يمكنني الصبر، قتلت حيوانا إطاعة لتلك النزعة الحمقاء التي تغالبني.

لخادمي (جان) عصفور في قفص ثمين ومعلق بنافذة الدار، وقد أرسلت خادمي ذات يوم لقضاء حاجة، وبعد أن ذهب أخذت العصفور الصغير في يدي فشعرت بجسمه الحار، وبنبضات قلبه المتفاوتة، ثم صعدت إلى غرفتي، وأخذت أضغط عليه شيئا فشيئا إلى أن أحسست بدقات فؤاده السريعة. لقد كان المنظر وحشيا مع فظاعته. كدت أخنقه. ولكن لا فائدة لأني لن أرى دمه يسيل، فأخذت المقص وجعلت رقبته ثلاث قطع؛ ففغر المسكين فاه، وأراد الخلاص بكل ما أوتي من قوة، ولكن أنى له ذلك

ويداي كالحديد تطوقان عنقه؟ لقد كان عملي يسترعي الدقة والانتباه، فكنت أعمل بتؤدة!!

الدم! الدم! ما أجمله!!

أحمر قان، صاف! لقد أردت أن أخضب به لساني، وفعلا كان ذلك! إن هذه الكمية القليلة لا تبعث على النشوة، لكنها لذيذة! ضاق نطاق الوقت للتمتع بهذا المنظر؛ فقد حان حضور خادمي.

آه! لو كان بدل هذا العصفور ثور لكان أبهى وألذ.

يا له من شقي! لأني أصبحت كالقتلة: غسلت المقص بيدي، وحملت الجثة الهامدة إلى مثوى أعددته لها في الحديقة، ودفنتها تحت شجرة (فريز).

لا يمكن لأحد معرفة هذا المكان، وسآكل كل يوم حبة من هذه الشجرة الحمراء.

بكى خادمي عصفوره كثيرا بعد عودته، وظن أنه طار من قفصه أيمكنه اتهامي!؟ لا. . . لا. . .!!

25آب:

الأمر بسيط: ذهبت للنزهة مرة في غابة (فيرن) لا أفكر في شيء مطلقا، وإذا ولد صغير يأكل خبزا عليه قليل من

الزبدة على قارعة الطريق. وقف ليراني مارا بجانبه، وعندما اقتربت منه حياني قائلا:

- نهارك سعيد، يا سيدي الرئيس.

وهناك. . . طرأت علي فكرة (قتله) فرددت عليه: - أنت وحدك هنا يا ولدي؟

- نعم يا سيدي الرئيس.

- ألا يصحبك أحد من أقاربك أو أصدقاؤك في هذه الغابة العظيمة المقفرة؟

- أبدا يا سيدي الرئيس.

لقد عصفت في رأسي شهوة القتل وأثرت في نفسي كما تفعل الخمرة برأس شاربها.

اقتربت منه ببطء خوفا من أن يفر كما كان يخيّل إلي ّ. ضغطت على عنقه بعنف، فنظر إلي بعينين تحاكيان البحر عمقا والسماء صفاءً و. . . لم أشعر طوال عمري بمثل هذا الإحساس الغريب الذي سيطر عليّ. لقد أمسكت يديه الصغيرتين بساعديّ القويتين المفتولتين، بينما كان جسمه يتطاير في الهواء كما تتطاير ريشة الطير على سفود. ثم همت حركته ووقفت أنفاسه. وهنالك أحسست بتواثب دقات قلبي العنيفة؛ مسكين ذلك الصغير، لقد

رميت جثته في حفرة وغطيتها ببعض الحشائش ثم عدت.

تناولت غدائي هادئ الأعصاب كأني لم آت شيء! لقد شعرت بخفة نفسي التي عادت فجددت شبابها الأول، وقضيت سهرة الليلة عند مدير الناحية. وجدوني مرحا، خفيف الروح في تلك الليلة، ولكني لم أر الدم، لذلك لم أك مطمئنا تمام الاطمئنان.

30آب:

عثروا على الجثة، والتحقيق جار لمعرفة القاتل؛ أنا مطمئن فلم يرفع الستار عن المجرم.

أول أيلول:

أوقف قاضي التحقيق رجلين من عابري السبيل كانا يجوبان تلك الناحية، وقد أخلى سبيلهما لأن الأدلة غير كافية لإدانتهما.

2 أيلول:

بكى أهل الطفل أمامي متضرعين!! ألا ما أعذب قولهم!

6تشرين الأول:

إن شهوة القتل تمتلكني وهي متأصلة في عروقي، تجري مع دمي، وهذا ما يدفعني إلى القتل كابن العشرين عندما يتيّمه الحب.

20تشرين أول:

جريمة أخرى:

ذهبت بعد الغداء ناحية النهر أتريض، وهناك رأيت صيادا نائما تحت شجرة حور، وكان الوقت ظهرا. تطلعت حولي فإذا بمعول في أرض مجاورة مزروعة بطاطس، أخذت المعول، ثم عدت أدراجي إلى الصياد، رفعته بين يدي كالهراوة وضربته ضربة واحدة بحد ذلك المعول، قطعت رأسه. تدفق الدم الوردي الخدّاع بغزارة، وانحدر إلى ماء النهر الجاري!

عدت أدراجي بخطوات مريبة، آه،. . .! لو شاهدوني لعرفوا فيّ قاتلا وحشيا مريعا.

25تشرين أول:

أحدث مقتل الصياد ضجة عظيمة بين الآهلين وفي

الدوائر؛ واتهم في ذلك ابن أخي المقتول لأنه كان يصطاد معه.

26تشرين أول:

رأى قاضي التحقيق أن ابن الأخ مجرم وكل من في البلدة يعتقد ذلك، مسكين ذلك الحمل الوديع!!؟

27تشرين أول:

دافع الصبي عن نفسه دفاعا ضعيفا، لقد حلف إيمانا مغلظة بأن عمه قتل أثناء غيابه، وهو في البلد يشتري خبزا وجبنا.

ولكن من يصدقه؟

15تشرين الثاني:

بالموت! بالموت! بالموت!

حكمت على الطفل البريء! وقد أحسن المدعي العام فكان ينطق كالملاك، وذكر الأسباب التي دعت إلى إدانة الطفل، وهو أنه وريث عمه الوحيد.

لقد رأست جميع جلسات محاكمته وسأذهب لأرى

مصرعه.

18 آذار سنة 1852: انتهى كل شيء هذا الصباح. مات الطفل بسرور وبشجاعة مما زاد في ابتهاجي! ما أروع رأسه المتطاير، وما ألذ دمه المتدفق كالسيل! نعم كالسيل! آه لو مكنوني من الاستحمام فيه والاستلقاء عليه حيث أشعر بسريانه في شعري وعلى وجهي، وأقوم بعدها بالأحمر القاني.

ما أفضع الحقيقة لو عرفوها!

والآن أستطيع أن أنتظر وأسهر الليالي لا يثير دهشتي أحد، ولا يعكر صفوي معكر. . .

لم تنته المذكرات بعد. وهي تحوي عدة صفحات أخرى بدون جريمة جديدة. وأقر الأطباء الذين كلفوا بدرس المذكرات بأن هذا الضرب من المرض العقلي هو أقل أثرا لما نفكر في عصرنا المادي الذي زاد فيه السقوط الأخلاقي والجنون العصبي.

الصدأ...

ترجمة: ابزاك شموش

لم يكن له في حياته سوى (غِيِة) واحدة، غية نهمة، لا تعرف الشبع: (الصيد!)

كان يصطاد كل يوم من الصباح إلى المساء في لهفة وشوق، وكان يصطاد في الشتاء والخريف وفي الربيع والصيف، وكان يصطاد في الغدران حين كانت الأنظمة تحظر الصيد في الغابات والإحراج، وكان يصطاد بجميع أنواع الصيد: بالعدو، وبالكلب المتحفز والكلب الراكض، والكمين، والمرآة والفتاش. . .

ولم يكن يتحدث عن شئ غير الصيد، ولم يكن يحلم بشيء غير الصيد! ولم يكن لينقطع عن التردد: يا لشقاء من لا يحب الصيد!

ومع أنه تجاوز العقد الخامس من حياته، فإنه صحته لا تزال جيدة، بحيث لا يظن أنه تخطى عتبة الشباب، بالرغم من الصلع الذي فتك بشعر رأسه؛ وهو إلى ذلك

شديد البأس قوي البنية ضخم الجسم.

وكان يحلق ما تحت الشارب ليكشف جيداً عن شفتيه، ويجعل دائرة الفم حرة ليسهل عليه النفخ في البوق.

ولم يكن أحد في المنطقة يدعوه بغير اسمه الخاص: (السيد هيكتور)، مع أن اسمه البارون هيكتور غونتران دي كورتلين.

وكان يقطن في وسط الإحراج، في مزرعة صغيرة انتقلت إليه بالإرث؛ ومع أنه كان يعرف جميع الطبقة الأرستقراطية في المقاطعة، ويتقابل مع جميع أفرادها الذكور في أماكن الصيد، فإنه لم يكن يتردد بصورة فعلية على أكثر من أسرة واحدة هي أسرة (كورفيل) التي تقطن بجواره وتخلص له الود، والتي عقدت أواصر القرابة بين أسرته وبينها منذ أجيال عديدة

وكان حبيباً إلى هذه الأسرة عزيزاً لديها، مكرماً محترماً؛ وكان كثيراً ما يقول لأفرادها:

– لو لم أكن صياداً لما وددت الابتعاد عنكم قط! وكان السيد دي كورفيل صديقه ورفيقه منذ عهد الحداثة، وكان مزارعاً شريفاً يعيش عيشة هادئة مع زوجه وابنته وصهره السيد دي دانتو الذي لم يكن له عمل، بحجة أنه

منقطع لأبحاث تاريخية خطيرة.

وكثيراً ما كان البارون دي كورتلين يتناول عشاءه على مائدة أصدقائه ليحدثهم عن الصيد خاصة، وكان يروي لهم قصصاً مطولة عن الكلاب والفتاش، وكان يتحدث عن هذه الأشياء كما لو كان يتحدث عن شخصيات بارزة له بها صلات وثيقة، فكان يكشف عن نياتها ومقاصدها، ويشرح حركاتها وإشاراتها:

عندما رأى فيدور – اسم كلبه – أن العصفور هو الذي يضطره إلى أن يعدو سريعاً هكذا، قال في نفسه: انتظر أيها اللعين، إنا لن نلبث أن نضحك وأن نضحك كثيراً. ثم أشار إلي برأسه أن أذهب وأتوارى في حقل النَفَل، وأنطلق يبحث ويبحث ملتوياً تارة ومنحرفاً تارة أخرى في شئ غير يسير من الجلبة وهو يتسلل بين الأعشاب ليوصل العصفور المطارد إلى زاوية لا يستطيع الإفلات منها. وقد تم كل شئ كما توقعه، ولم يلبث العصفور أن سقط في أقصى الحقل، إذ لم يكن في إمكانه أن يذهب إلى أبعد من ذلك من غير أن يُرى. فقال له فيدور: ها أنت وقعت بين يدي. . . ثم جلس واكبا على رجليه متخفياً والتفت ينظر إلي، فما كدت أشير إليه حتى سمعت (برررررر)

طار العصفور فرفعت البندقية إلى كتفي وأطلقت منها النار: (بان) وإذا بالعصفور يسقط، فحمله فيدور إلى وهو يحرك ذنبه كأنه يريد أن يقول: أرأيت كيف نجحت الحيلة يا سيد هيكتور؟

وكان كورفيل ودارنتو والسيدتان يضحكون ضحكاً شديداً من هذه القصص الغريبة التي يرويها البارون بكل ما أوتي من فن وبراعة، فكان يحرك كتفيه ويشير بجميع أعضاء جسمه، حتى إذا وصل إلى موت العصفور انفجر يضحك ضحكاً عريضاً وهو يسأل هذا السؤال الذي يتخذه خاتمة لقصته: إنها لجميلة هذه القصة. أليس كذلك؟.

ولا يكاد الحديث ينتقل إلى موضوع آخر حتى ينصرف عنه سمعه، ويشرع يدمدم بعض أغاني الصيد، كما كان يفعل حين يسود الصمت بين جملتين، فإن الهدوء لا يكاد يقطع ضجة الحديث حتى تنطلق منه على حين غرة: طن. . . طن. . . ويظل البارون يرددها وهو ينفخ خديه كأنه ينفخ في بوق.

وهو لم يتعلق بالحياة إلا لأجل الصيد، وكان الهرم قد بدأ يدب إليه شيئاً فشيئاً. وذات يوم أصيب بداء المفاصل

ولزم الفراش شهرين متواصلين، فكاد يقضي كآبة وضجراً. ولما لم يكن لديه خادمة تتولى شئون بيته عهد إلى إحدى العجائز بأمر إعداد الطعام. . .

ولم يكن في استطاعته أن يحصل على كمادات حارة، ولا أن يظفر بما يفتقر المرضى إليه من عناية، فاتخذ من قائد كلابه ممرضاً له، وصار هذا الأخير يضجر بقدر ما يضجر سيده على الأقل، فصار ينام ليلاً ونهاراً على الكراسي بينما البارون يشتم ويجدف محنقاً مغتاظاً في سريره.

وكانت السيدة كورفيل وابنتها تعودانه أحياناً، فكانت الساعة التي تقضيانها بقربه أحي الساعات إليه، ينعم بالهدوء والراحة، إذ تغليان له ما يحتاج إليه من مشروبات حارة وتتعهدان الموقد وتقدمان له فطوره على حافة سريره؛ فكان يدمدم حين انصرافهما: كان عليكما أن تقطنا هنا؛ فتغرق السيدتان في الضحك وتوصدان الباب وراءهما.

ولما تحسنت صحته وعاد يصطاد في الغدران ذهب ذات مساء لتناول العشاء على مائدة أصدقائه، ولكنه لم يكن كعادته مرحاً نشطاً، إذ كان يخشى الانتكاس وعودة الآلام

قبل افتتاح موسم الصيد؛ فلما نهض يريد الانصراف هرعت السيدتان إليه تلفان حول عنقه وشاحاً حريرياً، فترك نفسه للمرة الأولى في حياته بين أيديهما؛ ثم أخذ يتمتم بلهجة يائسة:

- إذا عادت الآلام إليَّ قضي عليّ لا محالة!

وعندما انصرف قالت السيدة دارنتو لأمها:

- يجب تزويج البارون!

فسرَّ الجميع لهذه الفكرة وعجبوا كيف أنهم لم يفكروا في ذلك إلى الآن، وطفقوا يبحثون طيلة السهرة بين الأرامل اللواتي يعرفوهن، وانتهى بهم الأمر إلى أن وقع اختيارهم على سيدة في الأربعين من عمرها ما تزال جميلة موسرة، حسنة الطباع جيدة الصحة تدعى (برت فيلرس).

فدعوها لتمضية شهر في القصر، ولما كانت تضجر وحدها في بيتها لبَّت دعوتهم، وكانت كثيرة الحركة والمرح، وراقها السيد كورتلين لأول نظرة، وأصبحت تسر بوجوده كما تسر بلعبة تنبض فيها الحياة، وصارت تقضي الساعات الطويلة تسأله في خبث عن عواطف الأرانب وحيل الثعالب. فكان يندفع برزانة في تمييز وجهات نظر مختلف الحيوانات ناسباً إليها خططاً دقيقة كما ينسب

مثلها إلى معارفه من الرجال وقد استحسن الالتفات الذي كانت تعيره إياه، وأراد أن يبرهن على تقديره لها فدعاها لمرافقته إلى الصيد، وكانت هذه الدعوة أمراً لم يقدم عليه إلى الآن مع أية سيدة أخرى. وقد بدت لها هذه الدعوة مضحكة إلى درجة لم تر مانعاً من قبولها.

وتعاون الجميع على إلباسها لباس الصيد. فصار كل واحد يقدم لها شيئاً، ثم ظهرت وقد ارتدت ثيابها على طريقة سكان (الأمازون) في رجليها حذاءان ضخمان، تنفرجان عن سروال من سراويل الرجال، فوق قميص قصير تغطيه سترة من القطيفة تضيق عند النحر، وعلى رأسها قبعة من قبعات الخدم الذين يقودون الكلاب.

وكان يبدو على البارون أنه شديد التأثر كأنما هو سيطلق أول طلقة من بندقيته، وشرع يشرح لها بدقة اتجاه الهواء ومختلف أنواع وقفات الكلاب، وطرق اجتذاب الحيوانات والطيور لصيدها. ثم دفع بها إلى أحد الحقول وراح يسير في إثرها خطوة خطوة كأنه مرضع تسير وراء رضيعها عندما يبدأ يمشي لأول مرة.

وصادف (فيدور) طائراً فأكب على رجليه ووقف.

ثم رفع إحدى رجليه، وكان البارون وراء تلميذته

يرتجف كريشة في مهب الرياح يتمتم: انتهى. . . حجـ. . . لات. . .

ولم يكد يتم كلمته الأخيرة حتى دوى طلق شديد، وارتفع من الأرض بررررر. . . فارتفع على الأثر سرب من الطيور في الهواء وهي تضرب بأجنحتها ضرباً عنيفاً

ومن شديد التأثر أغمضت السيدة فيلرس عينيها وأطلقت طلقتين، وتقهقرت من أثر رجة البندقية، فلما استعادت رباطة جأشها أبصرت البارون يرقص حولها كالمجنون وفيدور يعود بحجلتين بين فكيه.

منذ ذلك اليوم بدأ السيد كورتلين يعشقها!

وأنشأ يقول عنها وهو يرفع بصره: يالها من امرأة!

ومنذ ذلك اليوم صار يأتي كل مساء ليتحدث عن الصيد. وذات مرة، بينما كان السيد دي كورفيل يودعه والبارون مندفع في امتداح صديقته الجديدة سأله:

لماذا لا تتزوجها؟

فجمد البارون كالمأخوذ وقال: – أنا؟ أنا؟ أتزوجها! ولكن. . . فعلاً. . .

وصمت ثم هز يد صديقته بسرعة وتمتم:

– إلى اللقاء يا صديقي.

واختفى في ظلام الليل وراح يبتعد بخطوات واسعة. . .

ولم يعد البارون طيلة أيام ثلاثة، ولما عاد كان الشحوب قد صبغ وجهه بصفرة داكنة لشدة ما عاناه من التفكير الممض. وكان هذه المرة أكثر رزانة من قبل، فتوجه إلى السيد كورفيل وأخذه على طرف ثم قال له:

- لقد خطر لك وجيه، فأرجوك أن تعمل على تهيئتها لقبولي زوجاً لها. . . يا لله. . . لكأن هذه المرأة خلقت من أجلي، إذ نستطيع أن نذهب للصيد معاً دائماً.

ولما كان السيد دي كورفيل متأكداً من أنها لا ترفض، أجاب:

- أطلب يدها حالاً يا عزيزي. . . أتريد أن أقوم بهذه المهمة؟

ولكن البارون اضطرب فجأة وصار يتلعثم:

- كلا! كلا! ينبغي قبل ذلك أن أقوم برحلة قصيرة... برحلة قصيرة إلى باريس، وسأجيبك حال رجوعي الجواب النهائي. . .

وامتنع عن بيان أسباب ذلك. وفي اليوم التالي سافر. . .. مضى أسبوع. . . أسبوعان. . . ثلاثة. . . والسيد كورتلين لم يعد، فاستغربت ذلك أسرة كورفيل وقلقت عليه، ولم

يعد أفرادها يدرون ماذا يقولون للسيدة فيلرس التي أطلعوها على رغبة البارون، وصاروا يرسلون كل يوم إلى داره من يتسقط أخباره، ولكن لم يكن بين خدمه من تلقى شيئاً منه.

وذات مساء، بينما كانت السيدة فيلرس تغني وهي تعزف على البيان اقتربت الخادمة بحذر كبير من السيد كورفيل، وهمست في أذنه بصوت خافت جداً: إن بالباب رجلاً يريد مقابلته.

وكان هذا الرجل البارون وهو ما يزال في لباس السفر، وقد بدا عليه كثير من الشحوب والهزال والهرم، وما كاد يقع بصره على صديقه حتى أسرع إليه وأمسك بيديه، وقال له بصوت ضعيف متعب:

- وصلت في هذه اللحظة يا عزيزي ومع ذلك فقد أسرعت إليك لأقول لك. . .

ثم صمت برهة، وفي شئ من الارتباك والتردد استأنف:

- أريد أن أقول لك. . . حالاً. . . إن القضية. . . التي تعرفها لا يمكن. . . أن تتم. . .

فنظر إليه السيد كورفيل دهشاً:

- كيف. . .؟ ولماذا لا يمكن أن تتم؟

– أوه! أرجوك ألا ترهقني بالأسئلة، إذ يشق على كثيراً أن تضطرني لبيان السبب، ولكن كن واثقاً كل الثقة أنني لا أفعل إلا ما يفعله كل رجل شريف. . . . إني لا أستطيع. . . بل ليس لي الحق في أن أتزوج هذه السيدة. . . أفهمت؟ وسأنتظر مغادرتها داركم لأعود إليكم. . . لأن مشاهدتها تمضني كثيراً. . . فإلى اللقاء. . . وانصرف هارباً.

اجتمعت الأسرة كلها وأخذت تتشاور وتتناقش وتفترض الافتراضات المختلفة، وانتهى بها الأمر إلى أنه لابد أن يكون في حياة البارون سر خطير، فقد يكون له أولاد طبيعيون، وقد تكون له علاقات غرامية قديمة... وأدركت أسرة كورفيل أن الحالة على جانب عظيم من الرصانة، ومنعاً لتعقيدات أخرى تسلحت بلباقة فائقة لإطلاع السيدة فيلرس على الواقع. . . فعادت هذه السيدة أرمل كما قدمت. . .

ومضى على ذلك ثلاثة أشهر. وفي ذات مساء أفرط السيد دي كورتليه في تناول العشاء، وصار يترنح وهو يدخن غليونه مع السيد دي كورفيل، كم كانت دهشة هذا الأخير عظيمة حينما فاجأه البارون قائلاً:

– آه لو كنت تعلم كم أفكر في صديقتك، إذن لأشفقت

علي!

والسيد دى كورفيل الذي استاء من سلوك البارون في هذه القضية أجاب بصراحة:

- كان عليك يا عزيزي، ما دام في حياتك الماضية أسرار ألا تقدم على ما أقدمت عليه، إذ كان في إمكانك بكل تأكيد أن تفكر من قبل في السبب الذي سيضطرك للرجوع من عزمك.

فبدت على البارون علامات الخجل، وقال بعد أن توقف عن التدخين:

- كان ذلك ممكناً وغير ممكن في وقت واحد. . . ولكني لم أكن أصدق إمكان حدوث ما حدث.

فقاطعه لسيد دي كورفيل بفارغ الصبر:

- كان عليك أن تفكر في إمكان حدوث كل شئ!

فألقى السيد كورتلين نظرة على الظلام الذي يكتنفهما، وبعد أن تأكد من أنه ليس حولهما من يسمعهما قال بصوت منخفض:

- ألاحظ أنك مستاء من تصرفي، وسأفضي إليك بكل شئ لتمن عليّ بالعذر. . . منذ عشرين سنة وأنا لا أحيا يا صديقي إلا للصيد. . . والصيد وحده دون كل شئ آخر. ..

أنا كما تعلم لا أحب شيئاً غير الصيد، ولا أهتم بشيء آخر سواه. . . ولذلك خطر لي قبل أن أوقع عقد الزواج مع هذه السيدة أن. . بل حصل في ضميري تردد. . . إذ منذ الزمن الذي انقطعت فيه عن. . . عن الحب. . . لم أعرف إذا كنت لا أزال أقوى على. . . على. . . أفهمت؟؟ تصور أنه مضى عليّ أكثر من ست عشر سنة لم. . . لم. . . أفهمت؟ وليس من السهل في هذه المقاطعة أن. . . أأنت فاهم؟ ثم إنه كان لدي شئ آخر أعمله. . . كنت أفضل على ذلك أن أطلق طلقة من بندقيتي. . وبكلمة مختصرة حين عزمت على أن أتعهد إزاء الكاهن وإزاء المأمور الرسمي على أن أقوم بواجب الزوجية خشيت أن أكون. . . والرجل الشريف لا ينقض عهوده ولا يخل بتعهداته. . . وكان علي أن أقطع لهذه المرأة عهداً مقدساً بأن. . . وأخيراً، ولكي أكون واثقاُ من نفسي قررت أن أسافر إلى باريس وأن أقضي فيها ثمانية أيام، ولكن الأيام الثمانية انقضت ولم أستطع أن أعرف شيئاً مطلقاً، ولم يكن ذلك ناشئاً عن قلة ما قمت به من تجارب، إذ ترددت على أحسن ما في باريس من جميع الأنواع وجميع الأجناس، وأؤكد لك أن أولئك عملهن كل ما باستطاعتهن. . . ولكن ماذا تريد. . . كن جميعاً

ينسحبن مغمغمات. . . متمتمات. . . وإذ ذاك قررت أن أنتظر خمسة عشر يوماً. . . فثلاثة أسابيع رجاء أن. . . وقد أفرطت في تناول الأطعمة المفلفلة، الأمر الذي أجهد معدتي إجهاداً عظيماً. . .

ورغم كل ذلك لم أستطع شيئاً مطلقاً! وفي هذه الحال وإزاء فشل جميع المحاولات لم يكن لي بد من الانسحاب... وهذا ما فعلته!

وكان السيد دي كورفيل أثناء ذلك يدور على نفسه ويبذل جهداً عظيماً ليحول دون انفجاره بالضحك، فلما فرغ البارون من روايته هزَّ يديه برصانة قائلاً:

إني لأشفق عليك حقاً

ورافقه إلى منتصف طريق منزله. . .

ولما خلا السيد كورفيل بزوجه، أطلعها على كل شئ وهو يكاد يختنق من شدة الضحك، ولكن السيدة دي كورفيل لم تضحك قط وإنما كانت تنصت إلى زوجها بانتباه، حتى إذا فرغ من حديثه ابتدرته برزانة:

إن البارون أبله يا عزيزي. . . فإذا كان لم يستطيع شيئاً فلأنه كان خائفاً. . . وسأكتب حالاً إلى برت أن تعود

فأنشأ السيد دي كورفيل يحتج بفشل جميع المحاولات

البارون ولكن زوجته أسكتته بقولها:

– يجب أن تعلم أن الرجل إذا كان يحب زوجته واتته القدرة دائماً!

فلم يحر السيد دي كورفيل جواباً إذ اعتراه هو نفسه شئ من الخجل...

‹الجزائر تقرأ›

الوالد

ترجمة: أحمد أبو الخضر منسي

جان دوفالنوا صاحب لي لا أفتأ أزوره الفينة بعد الفينة. وهو يقيم في قصر له على ضفة جدول، وقد لاذ بهذا المكان بعد أن قصف وترف في باريس خمسة عشر عاماً سوية. وقد عرته بغتة ملالة من كل ما في هذه المدينة من مناعم ومآدب ورجال ونساء وملاعب، وجاء يعتزل في هذه الدار التي فيها ولد وفيها نشأ.

ونمضي إليه اثنين أو ثلاثة من الأصدقاء نقضي معه أسابيع معدودات، ولقد كان سروره بنا إذ يلقانا بعد نأي، بالغاً شديداً، وابتهاجه باسترجاع ما أفلت منه من حبور بعزلته إذ نتولى عنه جماً وفيراً.

ولقد وفدت عليه في الأسبوع الماضي فسعد بذلك كثيرا. وكنا نقطع الساعات تارة جميعاً وتارة منفردين، والعادة أن يقرأ هو وأشتغل أنا بالنهار، وحين تأخذ عين الشمس في الإغتماض نقبل على السمر إلى أنصاف الليل.

وكنا في يوم الثلاثاء الماضي، وكان يوماً حارا متلظياً، قد جلسنا في جنح ليلة نتأمل جريان الماء في الجدول تحت أقدامنا، وكنا نتساجل ما يتوارد علينا من أفكار شديدة الغموض عن النجوم التي تظهر في الماء وكأنها بين أيدينا تمرح سباحة. كنا نتناقل ما تتمخض به أذهاننا من خواطر كثر غموضها واشتد اختلاطها وأفحش إيجازها، ذلك أن عقولنا شديدة القصور، مستفحلة الضعف. بالغة العجز. أما أنا فقد كنت مشفقاً على الشمس المتوارية في الحجب لدى الطفل، كنا نفكر في هذه الكائنات المبثوثة في هذه العوالم، ومختلف أشكالها العجيبة التي يتقاصر دونها وهم الإنسان، وخواصها التي لا تدرك كنهها الفطن، وأعضائها الخفية المحجوبة. والحيوان والنبات وكافة الأجناس وسائر الجواهر وشتى المواد، مما لا تكاد ترتفع إليه أذهان الإنسان.

وبينما نحن كذلك إذا بصوت على بعد يصيح:

– سيدي، سيدي:

فقال جان: هلم يا يا تيست

فلما اهتدى إلينا الخادم قال:

– الغجرية يا سيدي

فجعل صاحبي يضحك كمن به مس، وما عهدته يضحك كذلك إلا نادراً، ثم قال:

إنا إذن في 19 يوليو؟

- نعم يا سيدي

- إذن قل لها أن تنتظر وأعدّ لها الطعام سأعود بعد عشر دقائق.

ولما انصرف الخادم أخذ صاحبي بذراعي وقال:

- فلنمش على مهل، سأقص عليك قصة هذه المرأة.

منذ سبع سنوات، أي في السنة التي حللت بها هنا: خرجت في أصيل يوم أطوف في الغابة. وكان يوماً طلقاً صافياً كيومنا هذا وجعلت أسير متئداً تحت أفنان الدوح أتأمل نجوم السماء من خلل أوراقها، مستجلباً لرئتي بليل نسمات الليل وطيب زهر الغابة.

وكنت قريب عهد بهجري باريس. إذ تملكني سأم شديد وعافت نفسي كل ما رأت عيني وأخذت منه بنصيب من كل سخيف وزري وذميم مدة خمسة عشر عاماً.

وأمعنت في السير وتوغلت في مسالك هذه الغابة ومضيت في فج مها عميق يؤدي إلى قرية جروزي على مدى غلوة من هنا، وإذا بكلبي قد وقف فجأة ونبح، فظننت أنه رأى

ذئباً أو وحشاً ضارياً فدلفت متسللاً كظيم الخطو ولكني سمعت بغتة صراخاً علا، صراخ إنسان يستغيث مختنقاً تتمزق له نياط القلوب من رحمة. فما شككت أنه رجل يغتاله مغتال في خميلة فعدوت لنجدته وبيميني هراوة غليظة ضربتها مردية.

دنوت من هذا الصراخ الذي كان ينجلي كلما اقتربت منه ولكنه كان صوت خفيضا مع ذلك مكظوم، كأنه صادر من بيت، وربما من خص حطاب، وكان كلبي بوك يتقدمني على قيد خطوات تارة يعدو، وتارة يقف، ثم ينطلق انطلاق السهم هائجاً حنقاً مسترسل الهرير ولم نلبث أن برز لنا كلب آخر أسود عظيم الهيكل كأن عينيه جمرتان قد كشر عن أنياب عصل يلمع بين شدقيه بياضها.

فهممت أن أهوي عليه بهرواتي ولكن بوك سبقني إليه فتلاحما وتصارعا وتجاولا، ومضيت أنا قدماً، وإذا بي أكاد أتعثر بجواد متطرح في الطريق، وإذ وقفت مبهوتاً أتأمل هذه الدابة لمحت عربة أمامي، بل بيتا طائفاً، أحد مساكن هؤلاء الباعة المتجولين.

ومن ههنا كان مصدر هذا الصراخ الفظيع المتلاحق.

ولما كان الباب من الناحية الأخرى، فقد درت بهذه العربة واندفعت أرقى الدرجات الثلاث الخشبية وأنا أهم بأن أصرع المعتدي بهراوتي.

ولكني شاهدت عجباً، والتبس علي الأمر فلم أفقه لأول وهلة شيئاً: هذا رجل قد جثا على الأرض كأنه يصلي، وعلى الفراش الذي استوى في جوف هذه العربة شيء قد جثم لا سبيل إلى تمييزه: بشر نصف عار قد انطوى على نفسه وهو يتلوى كالثعبان لا أرى وجهه، يميد ويضطرب وكأن صراخه خوار ثور.

فإذا هي امرأة تعاني آلام الوضع.

فما إن أدركت كنه الأمر وتبين لي ما غمض من حقيقة هذا الحادث الذي كان عنه هذا الصراخ حتى أذنتهما بوجودي، فجعل الرجل وهو يشبه أهالي مارسيليا يسألني ملحاً ذاهب اللب أن أغيثه وأغيثها وهو يواثقني بكلام لا آخر له على الوفاء والذكر لجميل، بما أقضي منه عجباً. ولم أك قد رأيت ولادة قط، ولا أسعفت أنثى قط في مثل هذه الأحوال، وذكرت له ذلك في بساطة، وأنا أنظر مذهولا إلى هذه التي تصم الآذان جلجلة صراخها في هذا الفراش.

ثم سألت الرجل الواهن الحسير وقد استرددت جأشي: لم لا تذهب إلى القرية القريبة؟ فقال إن جواده هوى في حفرة فانكسرت ساقه وعجز عن الحركة.

- فقلت له: لا بأس عليك. الآن نحن اثنان. إنا سنتعاون في جر العربة بامرأتك إلى بيتي.

ولكن لم يسعنا إلا الخروج إلى الكلبين. إذ علا هريرهما وما فصلناهما إلا بضرب شديد بالهراوة كاد يخمد أنفاسهما، ثم خطر لي أن أشدهما بين أقدامنا إلى العربة استعانة بهما، هذا يمنة وذاك يسرة وما انقضت عشر دقائق حتى كنا على تمام الأهبة. وأخذت العربة تسير الهوينا، فترج - باهتزاز عجلاتها فيما تخط في الأرض ممعنة من أخاديد - تلك المرأة المسكينة الممزقة الأحشاء ويالها من طريق! كنا نسير لاهثين لنا زفير مرتفع، وعرق ناضح، نزلق حيناً، وحيناً نقع، بينما الكلبان المسكينان يزفران بين أرجلنا كزفير النار.

وقضينا ثلاث ساعات حتى بلغنا القصر، وإذ دنونا من الباب انقطع الصراخ داخل العربة. وإذا الأم والمولود في أحسن حال، وأرقدنا الأم وطفلها في فراش وثير. ثم ركبت عربتي لأستحضر الطبيب بينما كان صاحبنا المارسيلي

وقد اطمأنت نفسه، يلتهم الطعام في شراهة ويحتسي حتى لا يعي من السكر ابتهاجاً بهذه الولادة السعيدة وكانت بنتاً.

وأقاما عندي ثمانية أيام، والوالدة وهي السيدة ألمير لها بصر بالغيب عجيب، وقد بشرتني بحياة مديدة ومناعم عديدة

وفي العام الذي بعده وفي مثل هذا اليوم لدى الغسق جاء الخادم الذي حضر من هنيهة يدعونا، وكنت في حجرة التدخين بعد طعام العشاء، يقول: (غجرية العام الماضي جاءت تشكرك سيدي).

فأمرت بدخولها، وعرتني دهشة إذ رأيت بجانبها غلاماً بالغاً أشده، ممتلئاً شحماً ولحماً، أشقر اللون من أهالي الشمال، فسلم علي ثم جعل يقول كزعيم لطائفته إنه علم ما كان من إكرامي للسيدة إلمير، وأراد أن لا تمر هذه الذكرى دون أن يفدا للشكر والاعتراف بيدي عليهما.

وقد أكرمت مثواهما وأمرت بإحضار الطعام لهما في المطبخ وأوفرت قراهما ليلتهما، واحتملا في الغد.

وهكذا في كل عام في نفس اليوم تفد هذه المرأة مع مولودها ذاك، وهي طفلة رائعة الحسن، وفي كل مرة

مع... رجل جديد. إلا واحداً منهم فقط هو من أهالي أوفرنيا وقد بالغ في شكري وأجزل لي الثناء، حضر معها حولين متتاليين، والصبية تدعوهم جميعاً (بابا) كما نقول (سيدي) عندنا.

وكنا بلغنا القصر فلمحنا أمام السلم ثلاثة أشخاص في انتظارنا وخطا أطولهم نحونا بضع خطوات وحيانا أحسن تحية ثم قال:

- سيدي الكونت إنما حضرنا اليوم لنبدي لك آيات الشكر. . . أما هذا الرجل فكان بلجيكياً.

ثم تكلم بعده أصغر الثلاثة بتلك اللهجة المدربة المتكلفة في الأطفال إذ يلقون عليك تهنئة أو ثناءً.

أما أنا فقد أبديت البساطة وانتحيت بالسيدة إلمير ناحية وبعد حديث قصير قلت لها:

- أهذا أبو طفلتك؟

- كلا يا سيدي

- أمات أبوها؟

- كلا يا سيدي. ما نبرح يلقاني وألقاه أحياناً. وهو من رجال العسس.

- عجباً! أليس هو إذاً ذاك المارسيلي الأول صاحب يوم

الولادة؟

- كلا يا سيدي، ما كان ذلك إلا وغداً زنيماً سلبني مدخر مالي.

- ورجل الدرك والد ابنتك الحقيقي أيعرف ابنته؟

- نعم يا سيدي، بل هو شديد الحب لها، ولكنه لا يستطيع تعهدها، إذ له من امرأته أولاد غيرها.

الجزائر تقرأ

السكيرة

ترجمة: ك. ح

وقفت عربة ذات حصان واحد أمام مزرعة الأم (ماكلوار) تحمل المعلم (شيكو) خمّار (دي به فيل) وهو رجل في العقد الرابع خشن المعارف هائل الخلقة أحمر الوجه بطين سمين، على وجهه سيما الخبث والمكر.

هبط الرجل سلم العربة، ثم ربط حصانها بخشبة معترضة ومشى إلى ساحة الدار.

كانت الأم (ماكلوار) تمتلك أرضاً تجاوز مزرعته، طالما تشوقت نفسه إلى ابتياعها منها، وضمها إلى أرضه لولا أن كان يصده عن هذه الرغبة تعصب من العجوز عنيد وتصلب شديد. وكانت تقول:

- إني ولدت في هذه الأرض، وستجنني تربتها. . .

ففي هذا الصباح ألفى العجوز، وهي دردبيس في الثانية والسبعين من عمرها، أمام منزلها معنية بتقشير (البطاطس) كانت منكمشة الجلد، جافة اللحم، منضوخة

الوجه. وبرغم ذلك كانت دائبة على عملها وكأنها في ربيع العمر تقدم منها المعلم (شيكو) وربت على كتفها في دعابة ثم قال:

- كيف حال صحتك أيتها الأم، هل هي جيدة؟

- أحمد الله، وأنت أيها المعلم؟

- بخير، ولولا قليل من الألم لكنت هانئاً راضياً

- جيد. ثم لاذت بالصمت وأخذت تقشر البطاطس وتديرها في حذق ومهارة بين أصابع يابسة عقداء معروقة، تشبه أرجل السراطين، وفي يدها اليمنى سكين عتيقة منثلمة لا تكاد تقطع الجبن.

وحين فرغت من البطاطس، وأضحت لماعة صفراء، ألقت بها في قدر مملوءة ماء. فإذا دجيجات وأفراخ تسعى إليها ناقة مقوقئة، ثم تختلس ما تبقى في حجرها من قشور البطاطس، وتتراكض في خبث عنها وفي منقار كل منها ما غنمت من قشور.

كان المعلم (شيكو) يرقب هذا المنظر في سأم وضيق وفي نفسه أمر، وعلى لسانه كلام يجتهد في انتزاعه، وأخيرا وفق فقال:

- ألا خبرتني أيتها الأم (ماكلوار)

– وما عساي أخبرك به؟

– ألا زلت ترفضين بيعي مزرعتك؟

– هذا أمر قد فرغت منه أيها المعلم (شيكو) فلم تقلقني به مطلع كل صباح ومهبط كل ليل؟

– ولكني يا سيدتي وجدت حلا للمسألة إن رضيت به خرج كلانا راضياً بصفقته غير أسف ولا مغبون عليها.

– وما هو هذا الحل؟

تبيعينني أرضك ثم تحتفظين بحق استثمارها ما بقيت على قيد الأحياء، أفلا يرضيك هذا أيضا؟

فشغلت العجوز عن تقشير البطاطس، وراحت ترمي الرجل بنظر حاد عنيف تحت جفنين أجعدين. ثم قال الرجل مفسراً:

– إنك أن ترضي بهذه الصفقة تتسلمي في منتهى كل شهر مائة وخمسين فرنكا أحملها إليك في عربتي. أتتدبرين قولي؟ أتفقهين حديثي؟ مائة وخمسون فرنكا ثم لا تتبدل لك حال، ولا تتغير حياة؛ فستظلين في حقلك آمنة السرب رافهة العيش لا يدينك أحد، ولا تعملين أمراً، ولا تنصبين نفسك لعمل. إلا أن يكون استلام مائة وخمسون فرنكا، مطلع كل شهر، عملا شاقا يكد

وينضب. قال هذا وطفق ينظر إليها فرحاً مستبشراً وعلى وجهه الطيبة والصلاح والمسكنة. . والعجوز تلحظه حذرة متيقظة. وقد كبر في وهمها أنه مخادع ونصاب يحاول اصطياد مزرعتها بألفاظ منمقة مزورة. على أنها سألته في خبث:

إنك لتؤكد لي أن المزرعة ستظل في حوزتي فهل بلغ من أريحيتك أن تتبرع لامرأة عجوز بهذا الراتب الضخم دون فائدة تعود عليك؟

قال المعلم شيكو وقد أدرك ما تنطوي عليه غمزة العجوز:

لا أثقل عليك يا سيدتي في شأن الأرض، فلسوف تغلين خيراتها وتنتفعين بثمراتها ما مد الله في حياتك العزيزة. غير أني أرجوك أن تكتبي لي صكا شرعيا، يخولني حق امتلاكها بعد عمرك الطويل إن شاء الله. ولبثت المرأة وهي تصغي لقول المعلم مأخوذة دهشة حائرة لا تملك لرأيها إبراما ولا نقضا، ولا لموقفها من الرجل إجابة ولا رفضاً، وأخيرا قالت:

إنه لا يسعني رفض اقتراحك، فلو أمهلتني أسبوعا آخر أتبصر أمري وأروي رأيي. فأطاع المعلم (شيكو)

ثم غادر الأم فرحاً فخوراً، كأنه الملك الجبار، استولى على بلد عدوه بالحديد والنار. . أما الأم (ماكلوار) فقد مضت أيامها ساهمة حالمة، لا يستقر جنبها على مضجع، ولا يزور جفنها سنة من نوم. ثم استشرت بها حميا التردد وعصفت نار الحيرة فكادت توطن نفسها على الرفض التام، لولا أن ذكرى المائة والخمسون فرنكا الطنانة البراقة، التي توشك أن تتدحرج في حجرها مطلع كل شهر، كانت تلهب رغبتها الخامدة وتذكي أطماعها الهامدة.

وأرادت أن تضع لترددها حدا، فمضت إلى الموثق الشرعي تنفض له جملة حالها وتستنصحه في أمرها. فأشار إليها بالاطمئنان ونصح لها بالرضا بحل المعلم (شيكو)، ولكنه اشترط عليها لذلك، أن يضاعف لها الراتب فيجعله ثلاثمائة بدلا من مائة وخمسين فرنكا لأن مزرعتها تساوي في أقل ثمن 160 ألف فرنك، ثم قال لها في أضعاف حديثه:

- لئن عمرت خمسة عشر عاما، فلن ترزئي صاحبك أكثر من أربعين ألف فرنك - فاستقلت جسم العجوز هزة من الطمع حين ذكرت الثلاثمائة فرنك التي سوف

تحضى بها رأس كل شهر ولكنها على ذلك ظلت حذرة مبلبلة الخاطر، تنوشها الهواجس، وتتوزعها الوساوس فهي تتوقع حيناً مفاجأة مفجعة وآنا مكيدة مستورة، لا تبصرها ولكنها تحسها، ولبثت حتى المساء تناقش المسألة بكل حل، وتواجه المقترح من كل جهة. ثم. ثم لم تستقر على عزم ولم تتوجه جهة من الرأي.

وجاءها المعلم شيكو يستطلع رأيها ويستعلم غرضها الأخير فأنهت إليه قرارها النهائي، بلزوم رفع مرتبها الشهري، وحين رأت هزة الإخفاق تركب أوصاله، ونار الغيظ تحتدم في عينيه، وبوادر الرفض تتوافد على لسانه، أظهرته على قائمة السنين التي يمكن أن تعيشها بعد هذه الصفقة فقالت:

- إني من الوهن ورقة العظم واشتعال الشيب بحيث لا أستطيع الانتقال إلى سريري إلا مستندة إلى الأذرع، أو محمولة على الظهور ومهما يمتد بي خيط الهرم، فإنه كخيط العنكبوت وشيك الانبتات سريع الانقطاع. وهل بعد الثلاثة والسبعين عاماً التي توقر كاهلي حياة ترجى أو عيش ينتظر؟ وقاطعها المعلم مغيظا فقال.

- إنها لمحاولة فاشلة منك يا سيدتي أن تصطنعي

العجز وتتظاهري بانقطاع المنة. ثقي أن منجل الموت لا يعرف سبيله إلى شجرتك قبل أربعين سنة في أقل تقدير، وإني أراهن على أنك أنت التي ستتولين دفني، فما هذا الخوف والفزع من الموت؟

وتصرم عمر النهار في الجدل والنقاش والأخذ والرد، وجهد المعلم (شيكو) الجهد كله ليقنع العجوز بالنزول عن طلبها الجائر المرهق فما عاد بطائل. وحين لم يجد مندوحة من إجابتها رضي مكرهاً بدفع الثلاثمائة فرنك.. . وغيرت سنين ثلاث وصاحبتنا العجوز كالسروة العتيقة لا يزيدها المزق إلا صلابة وجلداً على الأيام، حتى يئس المعلم من موتها وخيل إليه أنه مرغم على دفع مرتبها الضخم نصف قرن أو يزيد، وأن صفقته كانت هي الخاسرة المغبونة، وأنه لا بد موف على الخراب صائر إلى الإفلاس إن ظلت معاهدة الصداقة والود بين العجوز وعزرائيل متينة العرى.

كان يتردد على المرأة الفينة بعد الفينة بحجة السؤال عن نضوج الحنطة، أو الاستفسار عن موعد الحصاد؛ فكانت تستقبله في خبث، وفي قلبها الشماتة والتشفي، وفي معارف وجهها صورة الافتخار والزهو للدور المضحك

المسلي الذي لعبته على مسرح بلاهته وغفلته. فكان يرتد سريعاً إلى عربته ويجمجم:

- وإذن فليس في نية هذه البهيمة أن تموت؟ فلم يكن يعرف لمشكله حلا ولا لعقدة أزمته فكاكا. فكانت تمر به ساعات يود فيها لو أهوى على عنق العجوز فخنقه، وروحها فأزهقه، مما في نفسه من الغيظ والحنق والموجدة، وظل زمناً يلتمس وجهة الحيلة للخلاص من طلعة العجوز المشؤومة. وأخيرا ظفر بما يرجو؛ فغدا عليها يوماً يطفر من البشر والسعادة، ويصفق بيديه من الفرح والمرح، وبعد أن ناقلها برهة حديث المجاملة والود قال:

- ألا قولي لي أيتها الأم ماكلوار فيم امتناعك عن زيارة منزلي حين مرورك على حانة (إيدي فيل)؟ إن الحديث فيه ليلذ ويمتع، وأنا هناك يا للأسف مقطوع الصلة من الصديق، منبت الوشيجة من القريب، لا يؤنس وحشتي زائر، ولا يمر علي عابر. فزوريني أن تكرمت وكلي ما طاب لك فلست مرزئك مالا ولا مكلفك دفع طعام أو شراب. زوريني ففي زيارتك تشيع البهجة في قلبي وينتشر السرور في داري.

وفي الغد لم تكلفه الأم إعادة الاستزارة، فراحت إليه في عربتها، والشمس لم تغادر خدها الوردي، وحين بلغت الحانة ربطت حصان العربة في الاصطبل، ثم دخلت عليه طالبة الغداء الموعود.

لم يكد المعلم شيكو يصدق عينيه، وراح ينشط في خدمتها ويجتهد في مرضاتها، كأن أمامه سيدة نبيلة لا قروية بخيلة، ثم أخذ يفتن في تقديم فاخر الأطعمة والآكال وغريض اللحم من الطير المبهر، والدجاج المحمر، ولحم الخنزير المشوي، وأصناف من الخضار والفواكه والتوابل، ولكنها لم تصب من هذه الآكال الدسمة إلا ما يوافق معدتها العجوز التي اعتادت الاكتفاء بحساء اللحم الرقيق، أو قطع الخبز المغموسة بالزبد، وألح الرجل وعزم عليها. ولكنها لم تأكل مضغة ولم تشرب جرعة حتى القهوة امتنعت من تناولها. وأخيراً قال لها وهو يناولها قدحاً من (الكونياك):

- أو ترفضين أيضاً هذا القدح؟

- أما هذا فأقبله دون أن أقول لا. فرجت أركان الحانة بصوت المعلم يقول:

- (روزالي) أيتها العزيزة. احملي لنا كل فاخر معتق

من الكونياك. وظهرت الخادمة تضم إلى صدرها زجاجة طويلة ممشوقة ازدانت فوهتها بطابع الكونياك الفاخر. فتناولها المعلم شيكو وأفرغ منها قدحين، ثم أعطى العجوز أحدهما قائلا:

- إنه لكنياك لذيذ شهير، أفلا تتذوقينه يا سيدتي؟

فتناولته الأم (ماكلوار) شاكرة وطفقت تتحساه جرعات صغيرات، وما أن فرغت من القدح الأول حتى أفرغ لها المعلم قدحاً ثانيا، فأعرضت عنه أولا ثم أكرها المضيف بالقول اللطيف والتجمل الظريف والنكتة المستملحة. وكان عازما على إردافه بثالث ورابع لولا أن عالنته برفضها وامتناعها.

- ولكن هذا يا سيدتي ليس خمراً؛ أن هذا إلا حليب مصفى، أبتلع عشرة أقداح منه دون أن يتعتعني السكر أو تذهب بوقاري النشوة، لا يكاد يستقر في الجوف كالسكر المذاب حتى يتبخر في الجسم دون أني يجد طريقة إلى الرأس. وليس كمثله شيء لصحة الجسم وابتعاث النشاط. فدعا ذلك العجوز إلى أن اجترعت نصف الكأس الثالثة، ولم تجرؤ على استنفادها لأنها شعرت بفعل المسكر بأطرافها، وتلعاب الخمر بأعطافها.

فأهرعت إلى عربتها ومضت. . وغدا عليها صاحبنا في عربته ذات الحصان الواحد وحين استقر بهما المجلس أخرج من جوف العربة برميلا صغيرا، فيه خمر الأمس، ثم جلسا يعيدان سيرة البارحة، ولما استقر في جوف كل منهما ثلاثة أقداح، غادرها المعلم قائلا:

– ما أراني بحاجة لأقول لك أن الخمر التي أبقيتها لك تكفيك مدة، فإذا فرغت منها فعندي لك اللذيذ المعتق لا أبخل عليك به، وكلما ألححت في الطلب ألح على السرور وطبت نفساً. .

وآب إليها بعد أيام أربعة، فألقاها على الباب معنية بتقطيع الخبز الذي تعده للحساء، فاقترب منها أنفاً لأنف وبدرها بتحية الصباح، فنفحته منها رائحة (الكحول) وملأت خياشيمه، هنالك أضاء وجهه بنور البشر والفوز ثم قال:

– ألا تقدمين إلي قدحا من الكونياك؟ وجلس الاثنان يعاقران الخمر ويشرب كل منهما نخب صاحبه. . ولم يطل الأمر بالأم (ماكلوار) حتى شاع عنها أنها تعاقر الخمرة متخيلة لنفسها وفي الحق كان الجيران يلقونها إما مستلقية أمام مطبخها أو ساحة دارها لا تعي، أو

منطرحة في الطرق والشوارع لا تحس، فيحملونها إلى بيتها جثة لا حراك فيها ولا وعي..

ولم يعد المعلم شيكو يتردد على بيتها، فكان يقول للجيرة راثيا:

- إنه لما يبعث الأسى أن تدمن هذه العجوز الشراب وهي في أرذل العمر، مع أن الخمر تعجل خطواتها إلى القبر وفي الحق لقد وجدها أهل القرية ميتة على بساط الثلج صباح عيد الميلاد عقب سكرة إنكليزية أبلت فيها البلاء الحسن وورث المعلم (شيكو) أرضها كما خوله الصك، فكان يقول:

- لو لم تتلف العجوز البلهاء صحتها بسموم الخمر، لعاشت عشر سنين أخر!

‹الجزائر تقرأ›

الأنموذج

ترجمة: محمد فتحي عبد الوهاب

كانت بلدة (أترات) الهلالية الشكل ذات الجرف الأبيض، والبحر الأزرق والرمل الذهبي، تنام في هدوء تحت شمس شهر يوليو المشرقة، وقد برز على طرفي الهلال قوسان من الصخور مدليان على الماء السكن، أصغرهما واقع إلى الشمال كأنه قدم قزم، وأكبرهما إلى الجنوب كأنه ساق عملاق.

واحتشد الناس على طول الساحل راقدين على الرمل يتأملون المستحمين، وازدحمت شرفة (الكازينو) بالقاعدين أو السائرين المتنزهين، فبدت ملابس السيدات المزركشة ومظلاتهن الحريرية الموشاة كأنها حقل منسق الزهور. وابتعد البعض عند آخر الشرفة يتجول هنا وهناك ويتمتع بالطقس الهادئ اللطيف بعيداً عن ثرثرة البعض الآخر.

ومشى جان سمر الرسام الشاب المعروف بجانب مقعد

متحرك يدفعه الخادم، جلست عليه زوجه المقعدة تحدق في حزن إلى صفاء السماء تارة، وإلى الحشد المبتهج الجالس تحت الشمس الزاهية تارة أخرى. كانا صامتين لا ينظر أحدهما إلى الآخر.

وأخيراً قالت السيدة لزوجها - دعنا نقف هنا لحظة. كان كل من مر عليهما ويراهما صامتين ينظر إليهما نظرة شفقة. كانوا يعرفون قصة غرامهما، تلك التي أصبحت أسطورة البلدة. لقد عقد عليها الرسام على الرغم من عاهتها.

وجلس على مسافة غير بعيدة منهما رجلان يتحدثان ويتطلعان إلى البحر، وتابع أحدهما حديثه قائلاً كلا، هذا غير صحيح. إني أعرف جان سمر جيداً.

- إذا لماذا تزوجها؟ لقد كانت مقعدة عندما عقد عليها أليس كذلك؟

- أجل، إنها الحقيقة. لقد تزوجها... حسناً... تزوجها كأي رجل يتزوج، لأنه كان مجنوناً.

- ولكن لا بد وأن هناك سبباً آخر.

- سبب آخر يا صديقي؟! لا يوجد هناك سبب آخر. إن الرجل مجنون لأنه مجنون. أنت تعرف أن الرسامين

مشهورين بالغرابة من الزواج. إنهم غالباً ما يتزوجون الفتيات اللاتي يرسمونهن، وقد كن قبل الزواج خليلات لغيرهم من الرجال. إنهن سلع قديمة بمعنى الكلمة!

لماذا يتزوجونهن؟ سؤال لا يستطيع أحد أن يجيب عليه إجابة شافية. وقد يظن المرء أن الاختلاط الدائم بهن يجعلهم يعافون مثل هذا النوع من النساء. ولكنه ظن غير صحيح. فإنهم بعد أن يرسمونهن يتزوجونهن. حبذا لو قرأت كتاب (زوجات الفنانين) لألفونس دوديه إنه كتاب ثمين واقعي قاسي النقد.

إن زواج هذين الاثنين قد حدث بطريقة محزنة غير مألوفة. وفي الحق، لقد مثلت الفتاة مهزلة أو قل مأساة، وقامرت بكل شئ في ضربة واحدة. هل كانت تحب جان؟ لا يستطيع أحد أن يتكهن بذلك في مثل هذه الحالات. من ذا الذي يستطيع أن يتحدث عن مقدار عنصر القسوة، ومدى عنصر الإخلاص اللذين يدخلان في أعمال المرأة؟ إنهن دائماً لغز لا يستطيع الرجل حله. فنحن طالما نسأل أنفسنا. هل هن مخلصات، أم هن يغلبن علينا دوراً؟ يا رفيقي العزيز، إنهن مخلصات وغير مخلصات لأن ذلك جزء من طبيعتهن. فكر في الوسائل التي يتخذها أمهرهن

للحصول على كل ما يرغبنه منا. إنها وسائل نستنتجها، وبسيطة لأننا بعدما نقع في شراكهن لا نملك إلا أن نتعجب دهشة ونسأل أنفسنا (حسناً. . . هل هن حقيقة خدعتنا بمثل هذه السهولة؟ وهن دائماً يسلكن الطريق الذي رسمنه لأنفسهن. خصوصاً عندما يرغبن في الزواج. على أية حال إليك قصة سمر).

(كانت الفتاة أنموذجاً عنده. وكانت حسناء ساحرة ذات جمال فتان. ووقع الرسام في شراك حبها كأي رجل يقع في حب فتاة جذابة كثيرة التردد عليه. وخيل إليه أنه يحبها حقيقة. إن تلك ظاهرة عجيبة. فإنه حالماً يرغب رجل في امرأة يقتنع في قرارة نفسه اقتناعا تاماً أنه لا يستطيع من بعدها أن يعيش. ولكن الرسام كان يدرك تمام الإدراك أن ما حدث قد حدث له من قبل، وأنه عندما تشبع الرغبة يعقبها التقزز. وكان يعرف أنه لكي يقضي سني حياته مع مخلوق بشري آخر، فإنها ليست العاطفة الحيوانية البدائية الزائلة هي ما يحتاج إليه، وإنما التشابه الروحي والتآلف في الشعور والطباع، وأنه يجب عليه أن يكون قادراً على التمييز - وسط الجاذبية التي تؤثر عليه - فيما إذا كان ذلك الانجذاب نتيجة عوامل

طبيعية محصنة، أو هو نوع من الخيال، أو نتيجة اتحاد روحي متين.

ومع ذلك فقد ظن الرسام أنه يحبها، وتعهد مئات المرات وأقسم على الإخلاص لها وألا ينظر إلى امرأة غيرها وكانت في الحق رشيقة؛ رشاقة فتيات باريس. وكانت تثرثر وتتحدث بعبارات جنونية في صور مسلية. وتومئ إليه بحركات جذابة؛ وتقف أمامه وقفات فاتنة تأسر كل فنان.

ولم يدرك جان مدة ثلاثة أشهر بأنها في قرارة نفسها لا تختلف عن أية فتاة أخرى من طرازها. بل استأجر لها داراً في (أندرس) لقضاء فصل الصيف. وكنت هناك ذات مساء عندما ابتدأت أولى الشكوك تفرض نفسها فرضاً على نفس صديقي. كانت ليلة بديعة، فقررنا التنزه على ضفة النهر. وكان القمر يرقص على صفحة الماء المتألق، فتلألأ صورته بتأثير تيار الماء الجاري.

كنا نسير على طول الضفة، وقد تملكنا شعور مبهم من السعادة، تلك السعادة التي كثيراً ما تغمرنا في مثل ذلك المساء الكامل. وشعرنا بأننا نستعرض منظراً ساحراً، وبأننا وقعنا في حب سماوي مع ما صورته لنا مخيلتنا

الشاعرية. كنا ندرك في عجب هذه الأحاسيس الغريبة المثيرة. وسرنا صامتين متأثرين من هذا الهدوء وبهجة هذه الليلة. وظهر القمر كأن ضوءه يخترق ذاتنا؛ يخترق الجسد فيغرق الروح في حمام شذي من الرضا. وفجأة انفلتت من جوزفين - وكان هذا اسم الفتاة - صيحة وهي تقول - هل رأيت السمكة الكبيرة وهي تقفز هناك؟

فأجاب الرسام دون أن ينظر إليها أو يعي كلماتها - نعم يا عزيزتي.

ففقدت هدوءها وقالت: كلا إنك لم ترها؛ فأنت تستدبرها.

فابتسم وقال: إنك على حق. إن المساء من الجمال حتى لا أستطيع أن أفكر إلا فيه.

فلم تفه بكلمة فترة من الزمن، ثم قالت أخيراً وكأنها شعرت بأنها في حاجة إلى الكلام - ألن نذهب غداً إلى باريس؟

- لست أدري.

فقطبت قائلة - هل تعتبر ذهابك إلى نزهة دون أن نتحدث نوعاً من التسلية؟ حتى الأغبياء يتحدثون!

فلم يجبها. ثم أدركت ببديهة المرأة المتمردة أنها أثارته،

فطفقت تغني أغنية شائعة. فتمتم قائلاً – اصمتي أرجوك.

فردت في حنق – ولماذا أصمت؟

فأجاب – إنك تفسدين علينا لذة التمتع بجمال الليلة.

ثم حدث ما لا يستطيع تجنبه في مثل هذه الظروف، ذلك المنظر الكريه. ابتداء بتوبيخات أعقبتها اتهامات ثم بكاء. وأخيراً عادا إلى الدار وتركها تصيح دون أن يقاطعها.

وظل ثلاثة أشهر يناضل في يأس في سبيل الفكاك من الأغلال التي كانت تقيده بها. وكانت قد استغلت عاطفتها المسيطرة عليه لتجعل من حياته بؤساً وجحيماً. . ولذلك كانا يتشاجران ليل نهار. . وأخيراً قرر أن يضع حداً لكل ذلك ويهرب. . . فباع لوحاته واقترض مالاً وتركه وخطاب وداع على حافة المدفأه، ثم التجأ إلى منزلي.

وقبيل الساعة السادسة بعد الظهر قرع الجرس فذهبت وفتحت الباب. . . فبدأ لي وجه امرأة نحّتني جانباً ثم اقتحمت طريقها إلى مرسمي. كانت جوزفين. وهب الرسام واقفاً عندما دلفت إلى الغرفة وألقت برسالته والنقود تحت قدميه في اشمئزاز ظاهر، ثم صاحت في

جفاء – إليك نقودك –. لست في حاجة إليها.

كانت ترتجف وقد شحب لونها وهي في حالة تدفعها إلى ارتكاب أي شئ. أما الرسام فكان منفعلا شاحب الوجه غيظاً وكمدا. فسألها – ما الذي تريدينه؟

فأجابت – إني لا أود أن تعاملني كعاهرة. لقد أردتني فاستجبت لرغبتك. ولم أطلب منك شيئاً. إنك لا تستطيع أن تندبني.

فضرب الأرض بقدمه وقال – كلا. . إن هذا لكثير. إذا كنت تعتقدين أن. . .

فأمسكت بذراعه وقلت له – لا تقل شيئاً يا جان. دع الأمر لي.

وجعلت أتحدث معها في لباقة، واستعملت كل ما وعاه عقلي من مناقشة خليقة بهذا الموقف، فأصغت إليّ دون أن تتحرك وهي تحدق أمامها صامتة عنيدة. أخيراً بعد أن قلت كل ما استطعت قوله، وبعد أن أيقنت أنه لا توجد ذرة من الأمل في السلام، فكرت في إطلاق آخر سهم من جعبتي فقلت: – إنه لا يزال يحبك يا عزيزتي. ولكن عائلته ترغب أن تزوجه. أنت تعرفين ما أعني.

فاضطربت وقالت – آه. . لقد بدأت أدرك الآن.

ثم التفتت إليه وقالت – إنك. . إنك ستتزوج؟ فأجاب في شراسة – نعم.

وتقدمت خطوة نحوه ثم قالت – إذا تزوجت سأقتل نفسي. أتفهم ذلك؟

فهز كتفيه وقال – حسناً. . . اقتلي نفسك.

أتقول. . . أتقول. . أعد ذلك مرة أخرى.

فردد قائلا – حسناً. . . اقتلي نفسك إن أردت.

فقالت وقد أزداد شحوب وجهها – لا تعتقد أني لا أعني ما أقوله. سألقي بنفسي من هذه النافذة. فجعل يضحك، ثم ذهب إلى النافذة، وفتحها. وأخيراً انحنى لها في احترام قائلاً في أدب ساخر – من هذا الطريق. . . بعدك يا سيدتي.

فنظرت إليه هنيهه وقد ظهر وميض من الجنون في عينيها. ثم. . . ثم أسرعت كأنها في سبيل اجتيازها سياج حقل، وانطلقت أمامنا، ثم تخطت حاجز الشرفة، واختفت عن أنظارنا.

لن أنسى ما حييت تأثير تلك النافذة المفتوحة، عندما شاهدت الفتاة تسقط أمامي. وتراجعت بدون وعي إلى الخلف خشية أن أنظر إلى أسفل، كأني سأسقط أنا

الآخر. ووقف جان دون حراك ينظر في ذهول.

وحملت الفتاة مكسورة الساقين، وأصبحت عاجزة عن السير بعد ذلك. وجن عشيقها تحت تأنيب ضميره. وكأنه شعر بأنه مسئول عما حدث، فعاد إليها وتزوجها.

. . . هذه هي القصة بحذافيرها يا صديقي)

كانت الشمس على وشك المغيب، وشعرت الفتاة ببرودة الجو، فرغبت في العودة إلى الدار. وبدأ الخادم يدفع المقعد صوب البلدة. وسار الرسام بجانب زوجته بعد أن مكثا ساعتين دون أن يفوه أحدهما بكلمة.

الجزائر تقرأ

البعث

ع. ج

- 1 -

لم يكن هناك في قرية (فيكامب) من يجهل تاريخ الأم (باتان) الحافل بألوان الشقاء. . . كما لم يكن يختلف اثنان في الحكم على قسوة معاملة زوجها لها طيلة حياته اتخذها باتان زوجة له منذ عدة سنوات حين كانت في نضارة الصبا وقد حباها القدر بقسط وافر من الجمال والجاذبية. . . في حين كان هو بحاراً ماهراً عملاقاً اعتاد الذهاب إلى حانة العجوز (أوبان) لتناول أربع أو خمس كؤوس من الكحول. ولم يكن ذلك هو الحد الأعلى لملء فراغ معدته. . . بل كثيراً ما ارتفع ذلك الرقم إلى ثماني أو عشر كؤوس. . . ربما زادت على ذلك قليلا إذا ما كانت صفقة صيده رابحة. وكانت ابنة أوبان هي التي تشرف بنفسها على خدمة رواد الحانة الذين أسرتهم عيناها

الحالكتا السواد، وامتلكت أفئدتهم بقوامها الرائع المشوق

ويوم جاء باتان إلى تلك الحانة للمرة الأولى. . . واكتفى بإطالة النظر إلى الفتاة في شوق وحنين وهو يشير إليها من طرف خفي. وازدادت فتنتها في عينه حين ارتشف كأسه الأول. . فما كاد يأتي على الثانية حتى كان يلتهمها بعينيه في نشوة وشراهة. . واستقرت محتويات القدح الثالث في جوفه فتمتم قائلا دون أن يتم جملته (لو كان إمكانك فقط أيتها الآنسة ديزيري. . .)

ومع فراغ القدح الرابع كان باتان ممسكا بثوب الفتاة وهو يحاول تقبيلها.

وتعددت الكؤوس. . واكتملت عشرا. . وحينئذ أرسل وبان العجوز ابنته إلى الخارج وراح هز بنفسه يشرف على خدمة البقية الباقية من زبائنه الساهرين. كان أوبان رجلا حاذقا لا تخفى عليه خافية. . . فكان يترك ابنته تنتقل برشاقتها لإغراء الزبائن حتى يستزيدوا من خمرة تاركا لها مطلق الحرية في توزيع ابتساماتها الرائعة وإرسال سهام عينيها إلى أفئدة المخمورين، وهو واثق منها كل الثقة دون أي محاولة من جانبه اكتشاف سر ذلك البري الذي في أغوارهما كلما حاولت امتحان

عواطفها إزاء رجل من زبائن الحانة.

وأصبح وجه ديزيريه مألوفا دى باتان من طول تردده على حانة أوبان. . فكان يراها ماثلة أمامه وهو في موكب صيده ناشرا شباكه في المياه الهادئة أو الصاخبة على حد سواء. . أو كان بتخيله تومئ إليه في حلكة الليل الساجي، أو تحت ضوء القمر الفضي الساهر. . فكان يطيل التفكير فيها. . وكم كان يهنا بذلك التفكير وهو في جلسته عند مؤخرة المركب، ويده مستقرة على سكانه. . بينما ارتكزت رؤوس بحارته الأربعة على أيديهم وقد راحوا تحت تأثير نومة استسلام هادئ لذيذ بعد إجهادهم اليومي المرهق.. وفي كل تلك الحالات التي كان يتخيلها فيها. . كان يراها تبتسم إليه وهي ترفع يدها لتملأ كأسه بالرحيق الملون هامسة وهي تتأهب للابتعاد عنه:

أليس ذلك هو كل ما تطلب؟

أحس أخيرا أنها أصبحت تشغل حيز تفكيره كله. . فلم يستطيع كبت تلك الرغبة التي كانت تلح عليه في أن يتخذها حليلة له، وطلب يدها من أبيها.

وأجيب باتان إلى مطلبه: فقد كان يمتلك مركباً وشباكا علاوة على منزل بالقرب من الميناء. . وفي حين كان أوبان

العجوز لا يمتلك شيئا. . وتمت معدات الزفاف دون تأخير
انقضت ثلاثة أيام استيقظ بعدها باتان من الحلم الذي كان يعيش فيه، وهو يعجب كيف أنه اعتقد يوما أن تلك الفتاة ديزيريه تختلف في شيء عن غيرها من النساء. وابتدأ ينعت نفسه بالجنون، ويعيب عليها ضعفا وخضوعها لذلك القيد الذي قيدت نفسها. . القيد الأبدي الذي استسلم إليه تحت تأثير الخمر. . . نعم؟ لقد كان الخمر هو السبب في ذلك الزواج. . . الخمر التي كان يعتقد اعتقاداً جازما أن الفتاة قد مزجتها ببعض العقاقير السحرية للإيقاع به.

ولم يكف باتان عن سب نفسه طوال ذلك الوقت. . وما كاد يصل إلى ذلك الحد من التفكير حتى ألقى فضلات التبغ المتبقية في غليونه؛ وراح ينقل أسماكه الواحدة إثر الأخرى، وهو يغمغم غاضبا.

وعندما بلغ منزله وجد زوجته – ابنة أوبان العجوز – قابعة هناك كعادتها. فلم يحيها بحرف. بل راح يكيل لها ألفاظ السباب الحادة. . فقابلتها الفتاة بأحد منها، إذ كانت طبيعة والدها الهمجية متأصلة فيها، وكان ذلك مما يزيد في غضب زوجها وإيلامه. ولكن تلك الآلام

لم تبلغ الذروة إلا في تلك الليلة التي اعتدى عليها فيها بالضرب.

وخلال السنوات العشر التي تعاقبت بعدئذ. . . لم يكن هناك من حديث يدور بين أهل الميناء إلا عن تلك المعاملة القاسية التي كان يتبعها باتان مع زوجته، لا لشيء إلا لأنه كان موهوبا بالسليقة بلهجة في سبابة لم يكن هناك في فيكامب من يضارعه فيها.

وعاشت المرأة المسكينة في جو من الخوف والرعب عشر سنوات كاملة اعتادت أثناءها الوحدة والسكون، عشر سنوات كاملة فيها الكفاية لتجعل منها هزيلا يشبه هيكل سمكة صغيرة جافة.

- 2 -

استيقظت المرأة فجأة ذات ليلة على صوت أنين أرياح وهمهمة ريا ح البحر. . فجلست على فراشها وراحت أفكارها تتجمع في نقطة واحدة حتى تركزت في ذكرى زوجها الغائب في مركبه وسط العاصفة، وقفزت من الفراش ثم هرولت نحو الميناء التي كانت قد امتلأت بجموع النساء وقد حملن في أيديهن المصابيح ينرن

الطريق للرجال الذين هرعوا بدورهم إلى هناك لمحاولة نجدة من يحتاج إليهم من الصيادين. . وظلوا محدقين في المياه السوداء الممتدة في جلال وروعة وقد بدت أشباح مراكب الصيد الصغير وهي ترتفع وتنخفض فوق أمواج صاخبة، ودامت العاصفة خمس عشرة ساعة.

وكان من نتيجة ثورة الطبيعة أن أحد عشر صيادا قُدّر عليهم ألا يعودوا إلى منازلهم أبداً. وكان باتان من بينهم

وقذفت الأمواج بحطام سفينة باتان (أميلي الصفراء) إلى أحضان شاطئ (سان فاليري) ولكنها لم تظهر أي أثر لجسد باتان.

كان من الممكن أن يكون قد أصبح طعاما للأسماك. . كما كان من الممكن أن يكون قد انتشل من المياه وأبحر مع منقذيه إلى حيث يقصدون.

وعوّدت المرأة نفسها أن تحيا حياة الأرملة. . ولكنها إلى جانب ذلك لم تكن تمتنع عن استقبال سائل أو مسافر أو بحار داخل مخدعها.

وانقضت أربعة أعوام على اختفاء زوجها.

ومالت الشمس إلى المغيب. . وهبت نسمات باردة تنذر باقتراب الليل. . فزعت الأطيار إلى أوكارها. . في حين

كانت المرأة تسير في شارع (اليهود) وقد لفت نظرها منزل قبطان عجوز. . كان يقف ببابه (دلال) ينادي على أثاث المنزل ليبيعه. . وفي تلك اللحظة كان الرجل ممسكا بقفص قد استقر فيه ببغاء وهو يهتف:

- ثلاثة فرنكات. . طائر يتكلم كرجل القانون. . فقط ثلاثة فرنكات.

وتمتمت ديزيريه لصديق كان يتأبط ذراعها:

- يجب عليك شراؤه فسيكون لك نعم السمير. إنني واثقة من أن ذك الطائر يساوي ثلاثين فرنكا ثقتي من أنك تستطيع بيعه ثانية بعشرين أو خمسة وعشرين فرنكا.

وارتفع صوت الدلال مرة أخرى قائلا:

هيا. . أربعة فرنكات أيها السادة. . أربعة فرنكات. . إنه يستطيع الترتيل، فياله من أعجوبة نادرة. وأخيرا. . ً. انتقلت ملكية الببغاء وقفصه لديزيريه بعد أن دفعت ثمنه لأربعة فرنكات وخمسين سنتما.

وتمتمت المرأة بغضب لما رأت نقطة من الدماء تلوث يدها حين لامست رقبته وهي تضع له شيئا من الطعام في حجرتها.

- يا الله. . لم أكن أعلم أنه جريح.

وتوجهت إلى فراشها بعد أن وضعت للطائر شيئا من الطعام وإناء صغيرا مملوء بالماء

ولم تكن أنوار الفجر الوردية قد بدت بعد، حين تعالى إلى أذني مدام باتان صوت واضح جلي يقول:

- ألم تستيقظي بعد أيتها المنكودة؟

وقد رجع زوجها أخيرا. . فذلك الصوت صوته وتلك عادته في مناداتها إذا ما استيقظ في الصباح، وأحست برعشة تسري في عروقها فدفنت وجهها تحت الوسادة بينما راح جسدها يرتجف ارتجافا واضحا وهي تتمتم قائلة لنفسها:

- يا إله السموات. . لقد رجع ثانية وها هو إذ. . يالله ومرت بضع دقائق دون أن يعكر صفو السكون الشامل صوت. . فأخرجت رأسها من تحت الوسادة، كانت متأكدة من وجوده بالقرب منها يرقبها وهو على أتم استعداد للانهيال بالضرب كما كان في الماضي البعيد. . ولكنها لم تر شيئا غير أشعة الشمس التي ابتدأت تخترق زجاج النافذة، فهمست قائلة لنفسها:

- لابد أن يكون مختفيا في مكان ما

وظلت تنتظر.. وطال انتظارها فعودها هدوئها وغمغمت:

- إنني لم أره. . إذاً. . لابد أنني كنت أهيم في وادي الأحلام.

أغمضت عينيها مرة أخرى في اللحظة التي ارتفع فيها صوت باتان كالرعد قائلا:

ألا زلت نائمة أيتها الملعونة؟

وقفزت من فراشها وقد انتابها فزع المرأة المطيعة التي ظلت أربعة أعوام كاملة وهي ترزح تحت عبء الذكرى الأليمة. . ذكرى العذاب الذي كان يسببه لها صوت ذلك الرجل الكريه. . هتفت:

- ها أنا ذي يا باتان. . ماذا تريد؟

ولم يكن هناك من جواب

وتلفتت حولها في دهشة.. ثم أخذت تبحث في كل مكان.. لكنها لم يجد أحدا.. وتهالكت على مقعد بالقرب منها وهي تحس بروح باتان ترفرف فوق رأسها. . وأخيرا تذكرت الحجرة الصغيرة الإضافية الواقعة فوق حجرة الطعام. . لابد أن يكون مختبئا هناك في انتظار مفاجأتها. . ثم. . ثم العودة إلى نفس الحياة القاسية التي

كانت تحياها من قبل. . ونظرت إلى سقف الغرفة وهي تقول متسائلة

- هل أنت فوق يا باتان؟

ولم يكن هناك من جواب.

وتسللت إلى الخارج فأحضرت سلما تسلقته ونظرت في الحجرة الصغيرة لترى. . لتراه. . ولكنها لم تعثر عليه. . فجلست على الأرض وبدأت تبكي وهي ترتعد. ومن أسفل جاءها صوت باتان يقول:

- أي جو وأي رياح؟ إنني لم أتناول وجبة الصباح بعد وصرخت المرأة من أعلى من أعلى قائلة:

- إنني هنا يا باتان. . ها أنا ذي في طريقي إليك لأعد طعامك فلا تغضب. . ها أنا ذي آتية وهبطت السلم بسرعة فائقة ولكنها لم تجد أحد بانتظارها، أحست بضعف مميت يغمرها من رأسها لأخمصي قدميها وفكرت في أن تهرع إلى الخارج مستغيثة حين ارتفع صوت باتان قائلا:

- إنني لم أتناول طعامي بعد أيتها ال. .

كان الببغاء في قفصه يتابع كلماته، وهو يحدق فيها بعينين كجمرتين

ونظرت إليه والدهشة تغمرها ثم تمتمت:

- إذا. . إنه أنت. وتكلم الببغاء ثانية وهو يحرك رأسه انتظري. . انتظري قليلا. . فسألقى عليك درسا لتكوني أشد كسلا منك الآن..

أي أحاسيس شعرت بها المرأة في تلك اللحظة؟ لقد شعرت تماما أن الرجل الميت قد بعث مرة أخرى. . بعث حيا في هيئة ذلك الببغاء إذا. . سيعود مرة أخرى لإهانتها.. كما كان في الماضي وسوف لا يمر يوم بهدوء. . وجيرانها. . سيعودون حتما للهزء بها والسخرية منها.

أسرعت المرأة نحو القفص ففتحته وأخرجت الطائر الذي راح يدافع عن نفسه بمخالبه فيدمي يديها. . ولكنها لم تعبأ به. . وتهالكت فوقه على أرض الغرفة. . وراحت بكل قواها تضغط على رقبته حتى سكنت حركته.

لم يعد يتحرك، لم يعد يتكلم ولكنه كان مستكينا استكانة الأبد بين ذراعيها، وجمعت الريشات الخضراء المتناثرة هنا وهناك بيد مرتجفة ووضعتها مع الجسد المسجي على الأرض في لفافة صغيرة ثم هرولت إلى الخارج عارية وقذفت الحزمة الحاوية لل. . . للاشيء الميت في مياه البحر الهادئة... فبدت كحزمة من البرسيم الأخضر طافية فوق المياه الزرقاء.

وعادت إلى حجرتها فركعت على ركبتيها أمام قفص الطائر الميت.. وراحت تبكي.

كانت تشعرا أنها ارتكبت إثما. . وإثما هائلا كأكبر الجنايات وحشية.. وبدأت تدعو الله أن يغفر لها!

الجزائر تقرأ

صانعة الكراسي، هي مجموعة ترجمات مختارة لقصص الكاتب الفرنسي الكبير غي دو موباسان، القصة الرئيسية بعنوان صانعة الكراسي، وتحكي قصة فتاة ابنة صانع للكراسي تلتقي صبيا في قريتها يبكي بسبب ضياع نقوده فتقوم بمنحه نقودا ليتوقف عن البكاء، ومع كل صيف حين يعود الصبي لزيارة القرية تعطيه الفتاة نقودا بشرط أن تطبع قبلة على خده، حين كبر قليلا توقفت عن منحه قطع النقود لكنها وقعت في حبه.

جميع كتبنا متوفرة للشراء عبر
DZREADS.COM
الجزائر تقرأ
«الجزائر تقرأ»